تفكيك التفكيك

الدكتور

حامد مردان السامر

جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص:

حاول بعض النقاد قراءة النص التفكيكي قراءة فاحصة تهدف الى فحص الأصول الفكرية لهذا النص، والتعرض لأبرز فجواته النقدية التي يختزنها نسيجه اللغوي ، وقد انطلقت هذه القراءات من مرجعيات نقدية عقلانية – معيارية تتناقض مع الأسس الفكرية التي دشنها التفكيك ، لذا حاول البحث الإبتعاد عن هذه القراءات المعيارية وقراءة التفكيك قراءة مغايرة تتناغم مع طروحاته النقدية التي نسفت الأصول الفكرية للتمركز حول العقل وأطره العقلانية التي أنتجت الحداثة الغربية .إن القراءة المقترحة هي الانطلاق نحو الداخل واستعارة استراتيجية التفكيك لقراءة التفكيك ، أي التموضع داخل النص التفكيكي وتوجيه الضربات له من الداخل ، وقراءة مرجعياته الفكرية وأنساقه اللغوية ، والكشف عن تناقضاته وفجواته الفكرية التي يعتريها نسقه اللغوي .

Deconstructing 'Deconstruction'

(PhD)
Hamed Mardan Alsamer
Basrah University – College Of Arts

Abstract

Some critics have tried to meticulously read the deconstructive text to examine its intellectual origins, and to be acquainted with its most prominent critical gaps stored by its linguistic fabric . These readings started from critical rational-standardized reverences that contrasts the intellectual foundations inaugurated by deconstruction . So, the research tried to stay away from these standardized readings and read deconstruction differently in harmony with its critical treaties that blew up the intellectual origins to concentrate around mind and its rational frameworks that produced Western modernity.

The proposed reading is the starting inward and borrowing the strategy of deconstruction to read deconstruction, i.e. positioning within the deconstructive text and strikes it from within, read its intellectual references and linguistic patterns, and disclose its intellectual contradictions and gaps that undergo its Linguistic Pattern .

توطئة :

تهدف استراتيجية التفكيك الى سبر أغوار النصوص الفلسفية والأدبية عبر مساءلتها وفحص بديهياتها ومكوناتها المعرفية من أجل خلخلتها وزعزعة أركانها تمهيداً لتفكيكها وتقويضها وتحويلها الى أشلاء مبعثرة، ثم الزعم ان هذه النصوص تحمل في طياتها هذا الكم الوافر من التناقضات ، وان التفكيك لم يقم إلا بكشفها والتركيز عليها لاثبات هشاشة النصوص وانهيارها بصورة تلقائية ، وان هذا التناقض المزعوم هو سمة محايثة فيها ، لذا تكون مهمة القارئ هي الكشف عنه واخراجه من الكمون الى الظهور ، ومن السر الى العلن ، ومن الداخل الى الخارج .

وتظل وظيفة القارئ محصورة في هذا الأفق الخانق الذي يقارب النص ضمن حدود جدلية ضيقة تفصح عن الجانب السلبي في النصوص ، وتغيب الجانب الإبداعي فيها ، أي تركز على مناطق العمى في النصوص وتهمل مساحة الضوء فيها ، فلماذا يصر التفكيك على معاينة النصوص من منظار واحد ؟ . وهل ان ممارسته التي تقارب النصوص كانت مقاربة نقدية بريئة أم انها كانت معبأة بمضمون ايديولوجي مسبق تحاول فرضه على النصوص ، واسقاطه على المنجز الفكري الانساني ؟ . وهل تعمد تلك الممارسة الى استنطاق النصوص والبحث عن لحظات العمى والأبنية المتناقضة التي تضمرها أم انها تهدف الى تقويل النصوص ، واسقاط ايديولوجية القارئ المعدة سلفاً عليها ؟ . أم انها تتمفصل في المنطقة الفاصلة بين استنطاق النص وتقويله ، وبين اكتشاف تناقضات النصوص من جهة ، واللعب على تلك التناقضات والاحتفاظ بها من جهة أخرى ؟ .

ان (جاك دريدا) يعلن عن تصوراته بصورة شمولية مطلقة عندما يؤكد بشكل دوغماتي ان كل نص يحتمل التفكيك ، وان كل كلام يلغم سراً مايؤكده [١] . واذا كان دريدا يدرك ادراكاً مطلقاً ان النصوص هي مفككة تلقائياً ، فهل استطاع أن يطرح مقاربة نقدية متناسقة ومنسجمة تخلو من التناقضات في طروحاتها ؟ . وهل استطاع أن يتجاوز السلبيات التي تختزنها النصوص التي يقاربها ، ويحاول تفكيكها ، أم انه وقع في المنزلق ذاته الذي وقع فيه الآخرون ؟ .

إن قراءة المتن التفكيكي تعد حواراً فاعلاً يتغيا فحص مغالق ذلك المتن ، والغوص في متاهاته الايديولوجية ، ومتاريسه الفكرية ، والتعرض لأبرز فجواته النقدية التي يختزنها نسيجه اللغوي ، ولكن هذا الحوار لا ينطلق من مرجعيات نقدية معيارية سابقة ، وانما ينطلق من مرجعيات فكرية مغايرة تكون منسجمة مع طروحات التفكيك ومتناغمة معها ، لان أي مقاربة تضمر سؤالاً جوهرياً ، وهو كيف نقارب التفكيك ؟ وما المنهج النقدي الذي يمكن أن تتبناه هذه المقاربة ؟. وهل نحاور

التفكيك ونقاربه على وفق معايير نقدية سابقة يرفضها جاك دريدا رفضاً قاطعاً ؟. وبعدها صيغة من صيغ التمركز حول العقل، أم ننطلق نحو الداخل ونستعير المقاربة ذاتها التي يشتغل عليها التفكيك ، وهي التموضع داخل بنية النص وتوجيه الضربات لها من الداخل ، وقراءة مرجعياتها الفكرية وأنساقها اللغوية ، ثم الكشف عن فجواتها وشروخها وثغراتها ؟، أي نستعير المقاربة التفكيكية لمقاربة المتن التفكيكي ونرصد مناطق عماه وتناقضاته التي يمكن ان يحملها هذا المتن ، وهذه المقاربة ربما تكون أقرب لمعاينة التفكيك ، لأنها تقاربه بالسلاح ذاته الذي يقارب به النصوص ، وتقتحم عالمه الذاتي من دون أن تفرض عليه منهجاً نقدياً خارجياً مغايراً لا ينسجم مع الأفق الفكري لطروحات مابعد الحداثة .

إن المقاربة التي تعاين التفكيك من مناهج تنتمي الى أفق التمركز حول العقل تعد مقاربة مشوهة ، لأن التفكيك هو نص غير مكتمل ، وسوف يبقى مشروعاً فكرياً مفتوحاً يأبى التقولب والتمترس في أطر منهجية ثابتة ، وطرق إجرائية قارة، وممارسة نقدية نهائية ، لذا يظل مشروعاً مفتوحاً أمام القراءات النقدية الفاحصة لطروحاته وتجلياته ، لذا ارتأى البحث التوغل داخل فضاء النص، واقتحام عوالمه المعتمة والسفرالى أدغاله الموحشة ومقاربة تخومه البلاغية.

التفكيك بين الرفض والقبول :

أثار التفكيك جدلاً معرفياً واسعاً في الأوساط الثقافية الغربية ، وحظي بعناية كبيرة من قبل الباحثين الذين ينتمون الى التيار الفكري الحداثي القائم على أسس عقلانية صارمة ، وقد تراوح هذا الاهتمام بين النقد والقلق من تقويض الأسس المعرفية التي شيدت عليها الحداثة الغربية ، فقد عد أصحاب الفلسفة الظاهراتية التفكيك يهدف الى نقد فلسفة الحضور وتقويضها في الوقت ذاته ، بينما انزعج نقاد الادب من الهيمنة الطاغية لمشروع التفكيك القارئ للنصوص الادبية ، فالمنهج البنيوي والسيميولوجي الذي يستمد طروحاته من (دي سوسير) واللسانيات والتراث الشكلاني الروسي ، والاتجاه السيميائي المتأثر بطروحات (بيرس) وبالسياق المماثل في الفلسفة الامريكية ، كل هؤلاء لم يجدوا في التفكيك شيئاً يثير اهتمامهم ، وانما وجدوا فيه هدفاً لطروحاتهم النقدية وتقويضاً لها ، لانها ترتكز على أسس معرفية عقلية ثابتة ، و قد تمدد هذا الخوف الى علماء النفس والاجتماع الذين اكتشفوا ان التفكيك يفحص مشروعي (سيجموند فرويد) و (جاك لاكان) ويفككهما [٢].

إن القلق الفكري الذي تجلى في طروحات نقاد الأدب وعلماء النفس والفلاسفة للتفكيك ، يكمن في انهيار مشروع الحداثة الغربية القائم على أسس معرفية ثابتة حاول التفكيك خلخلتها

وزعزتها ثم تقويضها ليثبت هشاشة المشروع الفكري الغربي الذي أصبح معياراً نقدياً صارماً يرفض كل نتاج فكري مغاير له ولا يسير على خطاه ، لذا استشعر نقاد الادب والفلاسفة وعلماء الاجتماع الخطر الذي تحمله معاول التفكيك وهي تحفر في الأسس المعرفية التي أنتجت صرح الحداثة وتراثها الفكري القائم على التمركز حول الفكر الغربي، وان هذا التمركز ما هو إلا وهم من أوهام ذلك الفكر وطروحاته .

إن الاتجاه العقلي الذي شيد أسس الحضارة الغربية قد استشعر الخطر الفكري الذي يضمره التفكيك ، فطروحاته الفكرية تعمد الى إزاحة وجود أغلب طروحات ذلك الاتجاه والتمركز مكانها ، لذا أدرك ان وجوده الفكري مهدد بالزوال ، والاندثار ، فهب مدافعاً عن وجوده وكيانه المعرفي الذي أنتج صرح الحضارة الغربية ونظمها المعرفية القارة.

ولم يقتصر النقد على علماء النفس ونقاد الادب والفلاسفة وحسب ، وانما شمل علماء الاجتماع ايضاً ، فقد وجه عالم الاجتماع (بيير بورديو) نقداً سوسيولوجياً لاذعاً للتفكيك ، فهو يعتقد ان هذا المنهج يتموضع في حقل الفلسفة الالمانية المتمثلة بالفيلسوف الالماني (كانت) ، ولا يقوى على مغادرتها ، فالتفكيك يتظاهر بنقض الفكر المؤسسي وتفكيكه ، ولكنه يقوم بتثبيته من جهة أخرى ، ويحاول (بورديو) الكشف عن التمويه الذي تقوم به الممارسة التفكيكية ، فالجذرية اللفظية للتفكيك لا تعمل شيئاً سوى تمويه عجزها بوصفها نظرية نقدية لمؤسسات المجتمع ، وقد لايدرك (دريدا) ان ممارسته وفلسفته تشتغل في حقل فكري ممنهج ، أي في إطار مؤسسي توافق عليه الدولة ، وبذلك يظهر جوهر التناقض في الممارسة التفكيكية بين تفكيك المجتمع ومؤسساته ، وتثبيت تلك المؤسسات بصورة واقعية، وهذا يمثل عجز هذه الممارسة عن امتلاك نظرية نقدية حقيقية . ويسعى (بورديو) الى تفسير الوضع المؤسسي للتفكيكية الفرنسية ، ويتصور انها تحتل مكاناً هامشياً قياساً للفلسفة الرسمية ، لذا يبذل (دريدا) قصارى جهده من أجل تحويل هذه الهامشية الى فضيلة نقدية [٣].

ولعل (بورديو) هو أول من اكتشف التناقض الجوهري الكامن في الممارسة التفكيكية المتمثل في تفكيك الفكر المؤسسي الاجتماعي ونقضه ، وتثبيت فكر مؤسسي يكون ملائماً للفكر المؤسسي للدولة ، أو الاطار المنهجي السياسي الذي تتبناه الدولة وممارساتها القمعية ، أي ان الممارسة التفكيكية تنهج نهجاً مزدوجاً متناقضاً يقوم على نقض أسس معرفية ما، ولكنها في الواقع تقوم بتثبيتها في الوقت ذاته، ويعزو ذلك الى افتقار التفكيك لنظرية نقدية حقيقية وعدم امتلاكه لها.

إن (بورديو) قد لاينطلق من الأسس المعيارية العقلية في نقد الممارسة ولكن معاينته للتفكيك تحاول ان تموضعه في بؤرة اقتصاد السوق وثقافة الاستهلاك ، وهذا يتماهى مع سلطة المؤسسة

السياسية التي تسعى الى تبني هذه الطروحات وتمويلها ، وفي ضوء ذلك يهدف التفكيك الى نقض الفكر الاجتماعي السائد وتفكيكه وزحزحته ثم إقامة الطروحات السياسية مكانه ، ولعل هذه القراءة المبتسرة تعبر عن وعي مجزأ يعمد الى اختزال الممارسة التفكيكية في أطر محددة ، فهي ترى ان هذه الممارسة هي المسؤولة عن إنتاج تلك التصورات السياسية وتسويقها ، وترفض الاعتراف بان هذه التصورات هي نتاج سيرورة التطور الفكري الذي يفرزه المجتمع الانساني ، لذا حاولت هذه القراءة الفصل بين الفكر الاجتماعي الذي يؤطر المجتمع والفكر السياسي الذي يحرك ذلك المجتمع متجاهلة ان السلطة السياسية هي نتاج للحراك الاجتماعي وسيرورته التاريخية . لذا يمكن القول ان هذه القراءة ظلت تعاين التفكيك من منظور اختزالي يعاين التفكيك من زاوية أحادية ضيقة .

ويناهض هذه الطروحات (جوناثان كلر) الذي يعتقد ان التفكيك يحتل موقعاً معرفياً غامضاً عندما يعمل على وفق ممارسة مزدوجة من الداخل والخارج في الوقت ذاته ، مما يجعله معرضاً للنقد وسوء الفهم في الغالب ، فالتفكيك حين يستثمر التعارضات التي ينوي اهمال مضمراتها الفلسفية وأبعادها المعرفية فانه يتعرض للانتقادات اللاذعة من قبل خصومه ، لانه يحاول أن يشيع حالة من (الأناركية) السياسية anarchism* التي تعطل أي نظام مهما كان نوعه ، لذلك لم يستطع بناء أنظمة فكرية تقوم على أرضية ثابتة ، وانما كان متورطاً في النسق الذي ينتقده ويحاول ازاحته ، أي انه لم يغادر المكان الذي يسعى لتدميره وتقويضه ، وهذا سر تناقض الممارسة التفكيكية التي يتسلل عبر منافذها النقاد [٤].

إن النقد الاجتماعي الموجه للتفكيك ينطلق دوماً من مسلمات معرفية ثابتة حاول التفكيك مساءلتها وفحصها وخلخلة أسسها المعرفية القائمة عليها، لذا فانه عندما يعاين التفكيك فانه ينطلق من أسسه المعرفية القارة التي يرفض التفكيك ثبات أسسها، ويقين مسلماتها، ووضوح مقولاتها وبداهة منطلقاتها ، وبذلك يظل هذا النقد يدور في حلقة خارجية مفرغة لا تتوغل الى مكامن النص التفكيكي وأنساقه الفكرية المضمرة .

وقد تراوح هذا النقد بين قطبين ، الأول يرى أن التفكيك تجاهل الطروحات الاجتماعية تجاهلاً تاماً، ولم يعرها أهمية تذكر في ممارسته النقدية ، بينما يرى الثاني ان التفكيك كان ثائراً ومتمرداً على كل نمط من أنماط السلطة سواءً أكانت سلطة اجتماعية أم سلطة سياسية أم سلطة فكرية .

ويقارب الفلاسفة التفكيك ، ويتجلى ذلك في طروحات الفيلسوف الفرنسي (جاك بوفرس) ، والفيلسوف الالماني (يورغن هابرماس) ، فقد وجها نقداً عنيفاً للتفكيك ، وشاركهم في ذلك فلاسفة

التحليل في الثقافة الانجلو- ساكسونية ، ويرى هؤلاء الفلاسفة في نتاج (جاك دريدا) انتكاسة فكرية ضارة وطائشة، وهي تتجه الى نزعة لاعقلانية ترفض قيم المنطق وتدمر أسسه المعرفية الراسخة .

ويعتقد بعض الفلاسفة ان طروحات دريدا تنطوي على نوع من قياس الخلف يحيل الى إثارة الشك والريبة في الاتجاه الواقعي الذي يؤمن ان فكرنا ولغتنا ماهما إلا مضمون يشيده العالم غير اللغوي ويمنحه لنا، ويعدون دريدا فيلسوفا مثالياً ، فمقولته " لا يوجد شيء خارج النص" ما هي إلا مقولة قديمة وفاسدة قالها قبله (باركلي) و(كانت) .

اما تصورات دريدا حول انفصال اللغة عن الواقع ، وان العلاقة بينهما لم تعد علاقة سببية ، فنجد أصولها الفكرية في طروحات الفلسفة التحليلية التي تذهب الى القول ان وجود العلاقة السببية بين اللغة والواقع لا يكفي لتقبل فكرة التطابق بينهما ، وهذه الطروحات كانت مبثوثة بشكل ضمني عند (فتجنشتين) وصريح في كتابات فلاسفة اللغة أمثال (دونالد ديفيدسن) أي ان طروحات دريدا ماهي إلا إعادة انتاج المقولات السابقة باسلوب مغاير [٥].

إن النقد الفلسفي للتفكيك يركز على محورين : الأول هو تجريد التفكيك من أطره الفكرية ونسبتها الى التيارات الفكرية السابقة له من أجل تعرية التفكيك وافراغه من محتواه الفكري ، إلا ان الأصول الفكرية التي تطرق اليها تنتمي الى حقبة تاريخية أسبق من طروحات الفلسفة التحليلية ، فانفصال اللغة عن الواقع الذي تمثله قد تطرق اليها الفيلسوف الالماني (فريدريك نيتشه) عندما رفض رفضاً قاطعاً العلاقة السببية بين الدال والمدلول ، فيرى ان هذه العلاقة عادة ما تكون مختلة ومشوشة ، اذ لا يوجد أي رابط بين الدال والمدلول ، فالدال يكون منفصلاً عن مدلوله ، وهذا يحيل الى انفصال اللغة عن الواقع ، وقد يسهم هذا الطرح في انعتاق الدال من سلطة المدلول وهيمنته الطاغية [٦].

اما المحور الثاني فانه يسلط الضوء على النزعة اللاعقلانية التي تكتنف التفكيك ، وهذه النزعة التي يلحظها بعض الفلاسفة تنطلق من مسلمات عقلية دوغماتية راسخة في المشهد الفكري الغربي ، وتزعم ان هناك مفهوماً موحداً للعقل يمكن أن يشكل إطاراً مرجعياً موحداً لكل النتاج الانساني ، وظل هذا المعيار العقلي مهيمناً على أغلب النتاجات الفكرية التي حاولت التمرد على سلطته ، فيعمد الى اقصائها من دائرة العقل ونفيها منها، وفي ضوء ذلك تحول العقل الى سلطة معرفية تأسيسية من جهة، وطاردة للطروحات المغايرة ونافية لها من جهة أخرى ، وقد يبرز التساؤل الملح حول ماهية هذا العقل ، وهل اتفق الفلاسفة الغربيون على ايجاد مفهوم موحد للعقل ؟.

ولقد أدرك الناقد (امبرتوايكو) هذه الإشكالية المعرفية الكبرى ، فهو يقرر صعوبة تحديد اللاعقلانية الحديثة من دون امتلاك تصور معرفي – فلسفي عن "العقل" ، وللأسف فان تاريخ الفلسفة الغربية يوضح ان الاجماع على تحديد هذا العقل لم ينعقد عند الفلاسفة ، فلا وجود لنمط من التفكير ينظر اليه باللاعقلاني انطلاقاً من معيار لم يتفق على تحديده أغلب الفلاسفة ، فنجد ان منطق (ارسطو) يتباين عن منطق(ديكارت) ويختلف عن منطق (هيجل) ، وفي ضوء ذلك يمكن القول بعدم وجود معيار عقلي موحد يمكن معاينة النصوص الأخرى به، وعدّه مقياساً لفحص التيارات اللاعقلانية الجديدة(٧).

وعلى خطى الاتجاه ذاته شاعت بين الفلاسفة أطروحة مفادها ان دريدا هو سوفسطائي الزمن اللعوب، ويعمد هذا السوفسطائي مثابراً في طروحاته على تحويل النتاج الفلسفي الغربي الى حقل من حقول اللعب البلاغي، فقد برهن (دريدا) على ان الفلسفة تميل ميلاً غريباً الى نسيان انها كتابة ، أو محاولة التسامي بهذه السمة أو طمسها ، ويتم تعريف الفيلسوف بانه الكاتب الذي ينسى انه يكتب ، ويتابع (دريدا) في (علم الكتابة) تاريخ هذا الطمس ومنطقه بدءاً من جذوره اليونانية وصولاً الى الفلسفة الحديثة عند (هوسيرل، وهايدجر، وكلود ليفي شتراوس) ، وليس الغرض من ذلك هو رد الاعتبار للكتابة وحسب، وانما التركيز عبر المنطق التفكيكي على ان كل تفكير في الفلسفة واللغة والثقافة لابد ان نتصوره داخل سياق "الكتابة" . ويعزو (دريدا) في(هوامش الفلسفة) هذا التبصر الى (فاليري) الذي أدرك استفحال اللغة الاستعارية في النصوص الفلسفية مما يحيل الى تشتت المعنى وضياع الحقيقة فيها(٨).

ان التصورات السوفسطائية قد تتسلل الى النصوص التفكيكية ، وتتماهى في نسيجها اللغوي عندما يعمد(دريدا) الى طمس أصوله الفكرية وجذوره الفلسفية الغائرة في التاريخ، ولكن هذه التهمة تنطلق من المعيار المنطقي الارسطي الذي استبعد كل الطروحات المتباينة معه وشطب وجودها من الحقل المعرفي الانساني وعمد الى تشويه طروحاتها الفكرية وطمسها ، ونفيها من مملكة العقل حتى تحولت الى كيان منبوذ يتهم كل من يقارب تصوراته ، ويستنطق مقولاته ، لذا علينا ان نكون حذرين عند قراءة المتن السوفسطائي ، لأن أغلب نتاجاته وصلت الينا من غريمه التقليدي وهو التيار العقلي المنطقي الذي عمد جاهداً الى تشوية معالم ذلك المتن وطمس أصوله المعرفية، فهل تأثر (دريدا) بالمتن السوفسطائي ، أم انه تأثر بطروحات (فاليري) حول مجازية اللغة الفلسفية ؟؟.

وقد يقود البحث عن الأصول الفلسفية للتفكيك الى الكشف عن ان (دريدا) لم يكن سوفسطائي الزمن اللعوب وانما هو هرمسي زمن ما بعد الحداثة ، لأن الهرمسية هي أول من كشف

عن الجانب الاستعاري والرمزي في اللغة مما يحيلها الى بنية غامضة ومتعددة وغير قابلة للحسم ، فتنفتح الدلالة على أفق لا محدود[٩].

ويعلل (كريستوفر نورس) هذه القراءة التفكيكية للفلسفة ، فدريدا يرفض منح الخطاب الفلسفي حالة الامتياز الذي يطالب به بوصفه القدح المعلى المختزن للاستنتاجات المعرفية، وحاول دريدا نقض هذا الادعاء عندما أوضح ان الفلاسفة قادرون على فرض طريقتهم في التفكير من خلال قمع التأثيرات المجازية للغة وطمسها ، لذا كان هدفه تركيز الانتباه الى عناصر المجاز التي تختزنها الخطابات الفلسفية ، وان اللغة تقوم بتحريف مشروع الفيلسوف وتعقيده ، فهو يريد شيئاً واللغة تريد شيئاً آخر، ونتيجة لذلك فان الفلسفة تجاهد لطمس نصيتها، وإخفاء مجازية خطاباتها وانحراف دلالاتها ، ومع ذلك تسعى الى الكشف عن الحقيقة وهذا جوهر الخطاب الفلسفي الذي يسعى (دريدا) للكشف عنه ويطلق عليه تضليل الفكر الميتافيزيقي الغربي [١٠].

ان (دريدا) يرفض وضع الخطاب الفلسفي في المرتبة الاولى من مراتب الفكر ، أو تمركز هذا الخطاب داخل منظومة النظام المعرفي بينما تكون بقية الخطابات على هامش تلك المنظومة ، فالخطاب الفلسفي– في تصوره- لا يختلف كثيراً عن الخطابات الأخرى ، فهو يمارس الخداع والتضليل والتمويه، لانه يدعي الكشف عن الحقيقة وهو معبأ بالمجاز والاستعارة ، ويهدف الى وحدة المعرفة بينما تتشظى دلالاته وتنحرف سياقاته ، ويزعم تماسك مقولاته المنطقية ، بينما يعتري نسيجه الفكري التناقض بين ما يقوله ويصبو اليه وما تقوله اللغة ، وهذا ما تحاول الممارسة الفكيكية كشفه ورصده .

ويحاول (دريدا) تحويل مسار الخطاب الفلسفي من التمركز حول العقل الذي استنفد جهد الفكر الفلسفي الغربي من دون الوصول الى نتائج حاسمة ، الى التمركز حول اللغة ، وفي ضوء ذلك يرى (دريدا) ان على علم الكتابة ان يفكك كل شيء يربط المفهوم والفكر المعياري باللاهوت الانطولوجي وبنزعة مركزية العقل ، فالتفكيك بالتحديد هو ما يفعله علم الكتابة[١١].

ان هذه الطروحات التي فجرها (دريدا) قد أسهمت اسهاماً فاعلاً في تحجيم الخطاب الفلسفي وزحزحته من المركز الى الهامش ثم فضح مقولاته التي كان يتباهى بها، فانبرى الفلاسفة يدافعون عن عرشهم المعرفي الذي تداعت أركانه المعرفية الراسخة ، وتهاوت صروحه الفكرية التي أنتجت فكراً مركزياً اقصائياً ، يؤسس للنظم المعرفية الغربية من جهة ، وينفي الطروحات الفكرية المغايرة ويقصيها من جهة أخرى ، لذا حاول (دريدا) تفكيك ذلك التمركز وتحرير المهمش من سلطته وسطوته ، والكشف عن مكبوتاته المتأزمة التي طمسها التمركز العقلي ، الذي كشف عن تهافته

وزيفه ، لانه يدعو الى التحرر والانعتاق من جهة ويمارس الاقصاء والتهميش والابعاد من جهة أخرى ، وبذلك يعلن عن تفككه الذاتي وانحلاله.

ويمكن القول ان طروحات (دريدا) في هذا الصدد ترتكز على محاور ثلاث وهي :-

١- رفض وضع الفلسفة في المرتبة الأولى من مراتب الفكر الانساني ، أي رفض تمركز الخطاب الفلسفي داخل منظومة المعرفة الانسانية ، لانه نص أدبي لا يختلف كثيراً عن باقي النصوص .

٢-استبدال التمركز الغربي حول العقل بالتمركز الغربي حول اللغة ، لاعتقاده بعدم وجود سابق للغة

٣- ان طروحاته أثارت حواراً نقدياً فاعلاً مع الفلاسفة السابقين ، فقد حاول تفكيك المقولات الفلسفية الناجزة ، وخلخلة البداهات المعرفية القارة ، ونسف التكلسات الفكرية التي شيدها التاريخ .

ويكشف (جوناثان كلر) عن النزعة النصية الشاملة التي حاول (دريدا) تدشينها في ممارسته ، فالتعارض بين الخطاب الادبي والخطاب الفلسفي هو ما يريد(دريدا) زحزحته ثم تقويضه ، فيحاول البرهنة على ان أفضل القراءات للنصوص الفلسفية ، هي القراءة التي ترى العمل الفلسفي أدباً أو بناءً مجازياً خيالياً تحدد نظامه مقتضيات نصية عديدة ، وفي المقابل تكون أحسن قراءات الأعمال الادبية ، هي القراءة التي ترى في هذه الأعمال ايحاءات فلسفية فتقوم بتسليط الضوء على التعارضات الفلسفية المضمرة ، وبذلك تزول الحدود والفوارق بين الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي لتشكيل فضاء النص [١٢].

والنصية التي يطمح (دريدا) لتدشينها هي اذابة الحدود الفاصلة بين النصوص ، وايجاد النص الحاضن لكل الارهاصات البلاغية والفكرية التي تحملها الأنساق اللغوية النصية ، فتزول ثنائية النص الفلسفي المركزي والنص الادبي الهامشي ، وتتلاشى الاختلافات الكامنة بينهما ، وتنهار الحدود الفاصلة بينهما ، فقد يكون النص المركزي هامشياً ، أو يكون النص الهامشي مركزياً ، وبذلك تتفكك الثنائيات المتعارضة الثابتة ، ولكن نقد الثنائيات وتقويضها ليس معناه ارجاعها الى عنصر واحد ثابت ، وانما يكون نقدها هو نقد للأصول المتمركزة فيها ، وجعلها واقعاً اشكالياً متغيراً وليس ثابتاً ، فثنائية المركز والهامش تعني ان هناك مركزاً ثابتاً يقتضي هامشاً ثابتاً مقابلاً له ، لذا فان (دريدا) يرى ان هذه الثنائية ليست ثنائية ثابتة ومستقرة ، وانما هي ثنائية متغيرة، فالهامش قد يصير مركزاً ، أو يصبح المركز هامشاً ، وهكذا في سيرورة متحولة لا تمتلك الثبات والاستقرار.

وقد تطرق(جون اليس) الى تقويض (دريدا) للثنائيات المتعارضة ، فيرى ان التفكيك يعمل على ايضاح التمركز الثابت في التعارض ، فالهامش قد يتحول الى المركز ، ولكن هذا القلب الذي يعطي

أهمية للهامش لايؤول الى إعادة بناء مركز جديد ، بل الى هدم الفرق الجوهري الكامن بين الأساسي وغير الأساسي ، بين العام والخاص ، وحتى يضفي (دريدا) على هذه الإشكالية بعداً أخلاقياً وسياسياً يستدرج به المتلقي لطروحاته ، فنراه يصور لنا المركز بانه السلطة والتقليد والأعراف الساكنة ، بينما يكون الهامش هو العناصر المقموعة والمكبوتة والمنسية [١٣].

ان التبصر الذي طرحه (جون اليس) يفضي الى اشكالية نقدية مهمة ، وهي ان التفكيك يعمد الى التقويض والتفكيك في أغلب طروحاته ، ولكنه لم يقدم حلاً جذرياً لاشكالية المعرفة ، ولم يطرح تصوراً مغايراً لما كان مطروحاً سابقاً ، لان كل نظام معرفي يستند الى قضايا مركزية تقع في صلب ذلك النظام ، وأخرى هامشية تحتل مكاناً نائياً عن هذا المركز ، وفضيلة التفكيك انه يسعى الى تحريك تموضع تلك الثنائيات فيضع الهامش مكان المركز، ويضع المركز مكان الهامش ، من دون ان يقدم بديلاً معرفياً جديداً يكون مخالفاً للأسس المعرفية السابقة ، فهو لم يطرح ثنائيات بديلة وانما قام بتفكيك ثبات الثنائيات القديمة ، ليقول لنا ان المسافة بين المركز والهامش لم تكن مسافة قارة ، وانما تعاني الاختلال والتوتر والتفكك مما يؤدي الى تقليصها ثم تدميرها بشكل منظم .

إن تحريك الثنائيات لم ينتج أفقاً معرفياً مغايراً ، لأن الهامش عندما يتحول الى مركز سوف يقوم بطرح هامش جديد وبذلك يتحول الهامش الى سلطة قمع جديدة ، وهكذا في سيرورة مستمرة ، اي ان التفكيك لم يحل هذه الاشكالية وانما قام بتحريكها من مكان الى آخر ولكي يعطي طروحاته سمة القبول لدى المتلقي ، فانه يقوم بطريقة ماكرة بربط المركز بالسلطة ليستفز مشاعر التمرد لدى المتلقي ، فيتعاطف مع المكبوت والمهمش والمنفي في مقابل السلطوي والقمعي والمتغطرس الذي يمثله المركز، فالاستفزاز العاطفي من أهم المنزلقات الفكرية التي أنتجها خطاب التفكيك بوصفه خطاباً مدافعاً عن حقوق المهمشين والمسحوقين .

وقد تكتسب علاقة التفكيك بالفلسفة أهميتها من التصورات الفلسفية المضمرة في التفكيك، ولابد من نبش هذه التصورات كي تسهم في تسليط الضوء على الخطاب التفكيكي ، أي ان التفكيك ينطلق من تصورات فلسفية من أجل نقض الأسس الفلسفية الراسخة ، فهو يتمرد على التمركز العقلي الذي أنتجه الفكر الغربي وظل أسيراً لطروحاته ، ويسبر المرجعيات المعرفية التي قادت الى هذا التمركز وأنتجت آلياته وممارساته الاقصائية ، لذا يحاول التفكيك مساءلة مفاهيم العقل، الغرب، والصوت، والكتابة، والوحدة والانسجام، والهوية ، والحقيقة ، والثنائية المنطقية ، ومجازية الخطاب الفلسفي ، وغيرها من الاشكاليات التي سعى الخطاب الفلسفي الغربي الى ترسيخها في النظام

المعرفي وتثبيتها فيه، لذا يهدف التفكيك الى فضح آليات الثقافة الغربية عبر التموضع داخل النصوص التي انتجتها وتوجيه الضربات لها من الداخل حتى تنهار أسسها المعرفية وأبنيتها الفلسفية .

ولعل مجازية الخطاب الفلسفي تنطوي على مخاطر عدة ، قد يكون من أبرزها تقويض الحقيقة التي يحملها ذلك الخطاب ، ثم انهيار أفقه التواصلي ، لذا يحاول (جوناثان كلر) الوقوف عند المفصل الحيوي المهم من الممارسة التفكيكية ، فعملية فحص المجاز في الفلسفة سوف تؤول الى تفكك التفكيك ، أي ان التفكيك يقوم بتفكيك ذاته من حيث لا يشعر ، لان نقض المضامين الفلسفية عن طريق المجاز يشبه عملية قطع غصن شجرة لحظة جلوس المرء عليه، ولعل هذه العبارة مناسبة لوصف ما يقوم به التفكيك . ثم يصبح السؤال : حين ينجح المرء في قطع غصن الشجرة فعلى أي أرض تسقط قدمه وكيف؟. وكي نجيب عنه نحتاج الى فهم الموقف فهماً شاملاً من حيث مرونة الحركة وطبيعة الحقل المعرفي ، وكذلك القدرة على التنبؤ بنتائج هذا العمل [١٤].

ولعل هذه المقاربة تعد من المقاربات المهمة المتموضعة داخل الخطاب التفكيكي ، فكيف يسعى خطاب التفكيك الى التواصل مع الآخر ونقل طروحاته الفكرية اليه من جهة ، ويحاول تجريد الخطاب الفلسفي من مضامينه الفكرية عبر التركيز على البعد المجازي فيه من جهة ثانية ؟. وفي ضوء ذلك يسعى التفكيك الى تقويض ذاته بذاته، وهذا العمل يشبه عمل رجل يقوم بقطع الغصن الذي يقف عليه ، أو هدم بناء يسكن فيه ، مما يؤدي الى انهياره وسقوطه ، فكيف يقوض دريدا خطاباً ينوي تدشينه ، وهل كان واعياً لهذا الشرخ المعرفي في مشروعه النقدي؟ .

ومن المستبعد في ظن البعض ان يكون دريدا واعياً لهذا التناقض المنطقي في مشروعه ، حتى يمكن القول ان هذا المشروع يحمل بذرة فنائه منذ لحظاته التكوينية الاولى ، وهذا ما انتبه اليه الناقد (جوناثان كلر) حين حاول قراءة مقال(دريدا) الأول (البنية، والعلامة ، واللعب في خطاب العلوم الانسانية)

Structure ,Sign and play in the Discourse of Human Science

فقد اكتشف ان مقولات (دريدا) في هذا المقال تبدو متناقضة ، ومن الصعوبة ان تتناغم فقرة مع أُخرى أو تنسجم معها ، لان فقرات المقال هي أشلاء مبعثرة تكثر فيها الثغرات ، وكان من الأفضل ان يقدم (دريدا) توضيحاً يدعم فيه المقولات التي ظهرت بشكل غير مقنع ، ومفعمة بالشروخ والفجوات ، ولكن المشكلة الكبرى تكمن في ان شراح (دريدا) يرددون هذه الأقوال من دون وعي ، علماً انها تثير اشكاليات خطيرة تتطلب التوضيح والتعليق[١٥].

إن الخطاب التفكيكي الذي دشنه (دريدا) كان مفككاً منذ ولادته عبر مجموعة من الشروخ والتناقضات التي حفل بها ذلك الخطاب ثم أصبحت سمة فارقة له ، فهل كان (دريدا) واعياً لهذا النهج الفكري في كتاباته ، أم انه كان يرمي الى إنتاج منظومة كتابية مغايرة ؟؟ .

ان التناقض والتفكك هما جوهر الخطاب التفكيكي وبنيته الأساسية التي ينوي تسويقها الى المشهد الثقافي الغربي لتكون بديلاً عن النمط الثقافي السائد في الكتابة ، لذا سعى (دريدا) منذ البداية الى جعل التفكيك منهجاً وفكراً وممارسة ، وذلك من أجل الخلاص نهائياً من دنس العقل ومنطقه ، انه أراد على وجه الدقة الاشتغال بالتفكيك عبر التفكيك ومن أجل التفكيك كي يهدم النسق العقلي المنطقي الخطي السائد في الكتابات الادبية والفلسفية ، لان هذا النمط –في تصوره- يكون قائماً على التمركز العقلي وأطره الفكرية الخانقة ، فلابد من تحطيم هذا التمركز وأسسه المنطقية المتجسدة في الكتابة القائمة على التناسق المنطقي بين الأنساق اللغوية والأفكار وتطهيره من الشروخات والتناقضات والفجوات ، لذلك سعى (دريدا) جاهداً الى تدمير هذا التصور عبر التنظير والممارسة من جهة، والى كشف مزاعم هذه الكتابة المنطقية من جهة أخرى .

ويظل اسلوب (دريدا) الكتابي مثار جدل عند بعض الباحثين الذين يرون فيه تعبيراً صارخاً عن النهلستية ، فالاسلوب الغامض لا يعبر عن رؤية فلسفية عميقة ومركبة، ولكنه ينطلق من خلفية تقويضية – انزلاقية ، يبذل فيها (دريدا) قصارى جهده كي يحطم حدود الكلمات والجمل والدلالات التي يمكن ان يمنحها نصه ثم يفرض عليها معاني جديدة ، ويعمد هذا الناقد الى لعب الدلالة وانزلاقها ، مما يجعل قارئ نصوصه يسير على سطح أملس، فيقوم بالتركيز على توازنه كي لا يسقط في دهاليز كلماته المعتمة ، وهذا التمويه الاسلوبي يبدو متعمداً في كتاباته كي لا يركز القارئ على سطحية الأفكار المطروحة وعمق التناقضات التي يحملها النص التفكيكي [١٦].

ان النص التفكيكي يظل مكتوباً بلغة غامضة مموهة تضمر بين طياتها جوهر تناقض ذلك النص وفجواته وشروخه ، هذه اللغة لا تصل الى شيء ولكنها تضمر خلف أناقتها طروحات فكرية تحاول دوماً تسويقها عبر اسلوب تداعي الالفاظ وتشعب العبارات، وتشظي الدلالات وتمويه المقاصد ، وقد تخدع هذه الاساليب القارئ الباحث عن دلالات النص وينتابه الاحباط عندما لا يتمكن من الوصول الى مكامن النص ومغالقه ، لذا يمكن التصور ان الكتابة التفكيكية تعمد الى المضي باتجاهين :

الاتجاه الاول هو محاولة تغطية شروخات النص وفجواته عبر الاساليب البلاغية واللعب الحر بالالفاظ وتمويه المقاصد ، اما الاتجاه الثاني فهو يحاول تمرير فلسفة التفكيك واستراتيجيته الفكرية عبر هذه اللغة بطريقة ماكرة ، ظاهرها العبث وانفلات المعنى وغيابه ، وباطنها الجد وتسويق

الطروحات وتمرير الايديولوجيات التي تسعى استراتيجية التفكيك الى ترسيخها وتثبيتها بطريقة مخاتلة وماكرة ، أي ان هذا الاسلوب يكون وسيلة لتمرير ايديولوجية التفكيك التي يصبو اليها وليس غاية في حد ذاته .

ويكشف (جون أليس) عن العنصر الدرامي في اسلوب (دريدا) ، فيتصور ان التفكيك يخلق احساساً عاماً يرمي الى دفع التقدم الفكري الى أبعد نقطة من الاحساس العام أو المشترك ، ويعمد الى إثارة نشوة التحريض حين يتم اختيار الصياغة التعبيرية ليس من أجل منطقيتها ، وانما من أجل دراميتها وقدرتها على إحداث الشعور بالصدمة ، لذا يتوجب وجود قضايا متناقضة في الصياغة ، وهذا التناقض لم ينجم عن قصور فكري للصياغة ، وانما هو جوهر التفكيك ، ويوظف هذا المنهج آليات مغايرة ليحتفظ بحيويته وقدرته على الصمود ، لعل من أبرزها هو تفريغ القضايا من مضمونها وصبها في قوالب مغايرة تتسم بالغرابة على نحو يجعل المواقف المألوفة المعتادة تبدو بمظهر غير مألوف وهذا سر النص التفكيكي [١٧].

ولعل التركيز على العنصر الدرامي في النص التفكيكي يفصح عن انتقاد مبطن للمشروع التفكيكي ، فهو يعبر عن تصور يفضي الى ان صياغة هذا المشروع لم تكن صياغة معرفية منطقية أو منظمة ، وانما كانت صياغة أدبية تطمح الى صدمة المتلقي واستفزازه ، أكثر مما تسعى الى اقناعه والتأثير على تصوراته الفكرية ، فيظل المتلقي مشدوداً الى أدبية النص ومنشغلاً بها ، أكثر من انشداده الى المضامين الفكرية التي يضمرها النص ويسعى الى طرحها، وهذا يحيل الى ان النص التفكيكي كان نصاً غير عقلاني ، معبأ بالتناقضات والشروخات التي تعتري نسيجه اللغوي ، لذا يسعى جاهداً الى استعارة العنصر الدرامي من أجل ردم الفجوات المنطقية الظاهرة في النص، وتغطية عيوبه وتشظي دلالاته من جهة ، ويسعى الى تمرير مقولاته عبر هذا الاسلوب الأدبي المنمق من جهة أخرى .

ويمضي في الاتجاه ذاته الفيلسوف (يورغن هابرماس) الذي يطلق على بعض فجوات التفكيك بـ (الفهم المبهم) ، لان أصحاب التفكيك يطالبون دوماً أن تدرك نصوصهم بدقة متناهية، وبعقلانية متوقدة، ولكنهم في الوقت ذاته ينكرون قدرة اللغة في الوصول الى أي هدف ، أو حمل أي معنى في أنساقها، فكيف يتم تحجيم شكهم المعلن تجاه المعنى، المنطق، الحقيقة ، وطرق الاتصال الممكنة ، وفي الوقت ذاته يتوقعون ان تقرأ نصوصهم بعناية فائقة من أجل التواصل مع الآخر ؟؟ [١٨].

إن معاول الشك المنهجي التي دشنها التفكيك لم تستطع ان تقوض البعد التواصلي للغة ، لان اللغة تكتسب أهميتها بوصفها الحاضنة الأساسية للفكر الذي يسعى للتواصل مع الآخر، وعلى الرغم من كل ثورات الشك التي انتهجها التفكيك عبر اجتراح اللغة المراوغة والمخادعة والمشتتة للدلالة ،

فانها تبقى مهماز الاتصال الفكري بين البشر ، ولولا هذه الأداة لما استطاع أي مفكر طرح نتاجه الفكري حتى (دريدا) نفسه، الذي يطرح نتاجه بها ويشكك بقدرتها على التواصل مع الآخرين في الوقت ذاته ، وعلى الرغم من تنكره للغة وجحوده لها ، فانها استطاعت ان تنقل لنا الكثير من طروحاته وتصوراته النقدية ، وبذلك تمردت الكتابة على تصوراته وخرجت من نطاق متاهاته اللغوية وأنساقه المخادعة ، ورؤاه المبعثرة لتكشف لنا جانباً مهماً من جوانب منهجه ، أي ان الكتابة تمردت على مؤسسها وخرجت من هيمنته وسلطته .

ان ما طرحه (هابرماس) يمثل جوهر تناقض مشروع (دريدا) وتفككه ، فأصحاب هذا المشروع يلحون على إدراك نصوصهم بدقة وعناية وعقلانية ، وهذا يعني ان هنالك لغة تحاول ان تقول شيئاً ما، أو تشي بمفهوم معرفي ما ، ولكنهم في الوقت ذاته ينكرون أي وظيفة ابلاغية للغة تهدف الى التواصل ، وهم بذلك يقتربون كثيراً من التصور الغنوصي الذي طرحته الهرمسية الذي يحول العالم الى ظاهرة لسانية – لغوية ، ولكنه يجرد اللغة من أية سلطة ابلاغية في الوقت ذاته [١٩].

ويحاور (مارك جولد شميت) قناعات بعض النقاد المعاصرين الذين يرون ان (دريدا) هو أبرز ناقد يمثل اللاعقلانية الحديثة والبلاغة المعاصرة ، وان فلسفته ماهي إلا قراءة أدبية تحاول تفكيك تاريخ الفلسفة الغربية ، والكشف عن مضمراتها النصية البلاغية التي تحاول النصوص الفلسفية طمسها ، ومحوها، وازالتها ، ويرى (شميت) ان هذه القناعة تتجاهل الحقيقة، لأن منهج (دريدا) وفلسفته هو فن الانعتاق من الفلسفة عن طريق الفلسفة ذاتها ، أي نقض التصور الميتافيزيقي (الماهوي، السكوني) بلغته وأدواته ، وبهذا المعنى يكشف النص عن تناقضاته الداخلية الكامنة فيه ، وانه وحدة مفككة غير منسجمة ، وفضاء من الأبنية البلاغية والمجازية [٢٠].

ان قراءة تاريخ الفلسفة الغربية قراءة بلاغية تعني الكشف عن جوهر تناقض النص الفلسفي وعن آلية التدمير الذاتي لذلك النص ، ويكون ذلك عبر القراءة البلاغية للنص الفلسفي ، فالبلاغة تعد مدخلاً للكشف عن تناقض النصوص الفلسفية التي تزعم امتلاكها الحقيقة وهي تعج بالشروخ والفجوات ، لذا فانها تسعى جاهدة عبر تاريخها الفلسفي الطويل الى طمس نصيتها ، وتدليس بلاغتها ، وإخفاء مجازيتها ، وبذلك تقع في شراك تناقضاتها الداخلية وتفككها التلقائي .

والطرح الذي ذكره (شميت) يفضي الى المشروع البلاغي الذي أنتجه (دريدا) لمقاربة النصوص الفلسفية والولوج الى فضائها المعرفي ، ولكن هل تتمكن البلاغة من تدمير ذلك الصرح الفلسفي ؟. وهل يشكل الجانب البلاغي في النص الفلسفي مساحة واسعة يمكن رصدها والاشتغال عليها من أجل

تفكيك النص وتدميره ؟ . كل هذه الأسئلة يصمت عنها فيلسوف التفكيك أو يحاول ان يقدم اجابة مراوغة عندما يتطرق الى " جغرافيا العقل " .

وتتشكل هذه (الجغرافيا) من مناطق رخوة ، وتضاريس ، حقول ، وجبال ، وصحاري ، ولكل موطن (جغرافيا) يتكون من قريب وبعيد ، ومن بيداء وسهول ، ومن بحار، ويابسة ، وعلى غرار ذلك تكون (جغرافيا العقل) التي تتشكل من تعقل وجنون وشعور ولا شعور ، ومفكر ولا مفكر فيه ، وبداهة وعتمة ، لذا فان التفكيك يشتغل في المواطن الهشة من التفكير حيث يسود اللاوعي أو العتمة أو العمى ، انه العمل النقدي الذي يكشف للعقل وجهه القبيح في مرآة ماينفيه ويختزله ويستبعده ، وهذا لا يتم إلا في المنطقة العمياء من (جغرافيا العقل) [٢١].

إن (دريدا) لم يعمد الى زحزحة مركزية الخطاب الفلسفي من نظرية المعرفة وحسب ، بل حاول الكشف عن تناقضات هذا الخطاب وشروخه المعرفية وفجواته الكامنة فيه ، وسعى الى تحطيم النسق الكتابي المعلن عبر اجتراح نسق كتابي آخر يقوم على افتعال التناقضات والشروخات من أجل إنتاج منظومة كتابية مفككة ومخلخلة تتخلص نهائياً من كهنوت العقل وسطوته الطاغية ، لذا فقد أعلن بشكل مختزل ان التفكيك هو ما تفعله الكتابة . ولكن النسق الكتابي المنتج لم يكن نسقاً كتابياً حداثياً يتجاوز النسق الكتابي المعلن ، وانما هو نسق ينتمي الى الماضي البعيد ، انه محاولة لإعادة إنتاج طروحات الفلسفة السوفسطائية والغنوصية ، أي إعادة إحياء الكتابات ماقبل المنطقية (المقصية) التي كانت سائدة في فجر التاريخ الانساني ، ووضعها في مواجهة العقل وسلطته الطاغية وتحويلها من هامش المعرفة الانسانية الى مركزها .

وربما يطرح السؤال الجوهري في هذا الصدد ، هل استطاع (دريدا) ان يطرح مشروعاً فلسفياً يقف جنباً الى جنب مع المشاريع الفلسفية الأخرى ؟؟. فنقول فلسفة (دريدا) مثلما نقول فلسفة (ارسطو) و(هيجل) و(كانت) و (شوبنهاور) وغيرهم من الفلاسفة ، وهل استطاع هذا الناقد ان يترك بصمة فلسفية في مشروعه النقدي؟؟. وهل ينتمي هذا المشروع الى الفلسفة عبر طرحه جملة من القضايا الفلسفية مثل اللغة، الهوية ، الاختلاف ، الحضور ، الصوت ، العقل، التمركز ...!؟ .

ربما طرح (دريدا) العديد من القضايا الفلسفية في مشروعه ، وشكك في البداهات المطروحة التي يعج بها الخطاب الفلسفي، وحاول تفكيك التمركز العقلي الذي أنتجته الفلسفة الغربية وظل حاضراً لقرون عديدة في تاريخ الفلسفة ، إلا انه لم يكن فيلسوفاً بما تعنيه الكلمة ، بقدر ما كان قارئاً للخطاب الفلسفي، أو على وجه الدقة كان باحثاً عن تناقضات ذلك الخطاب وفجواته ، وهذه القراءة لا تشكل مشروعاً فلسفياً مغايراً وانما تظل تعتاش على تناقضات الآخرين ، من دون ان تتقدم خطوة

واحدة الى الامام ، انها تتمفصل في النقطة الفاصلة بين نقض الخطاب والاحتفاظ به. لذا يمكن القول ان التفكيك لم يطرح مشروعاً فلسفياً يكون قائماً على أسس معرفية ناجزة تتباين عن الأسس المعرفية السابقة لها، وانما ظل يدور في حلقة تناقضات الخطاب الفلسفي المفرغة من دون ان ينعتق منها ، أو يتحرر من سطوتها .

ويعترض (جون اليس) على شمولية الممارسة التفكيكية ، فالنقد يعني التمييز ، والبحث عن خصوصية كل نص وتفرده وتميزه عن بقية النصوص ، أما اعلان التفكيك ان قارئ كل نص سوف يحصل على النتيجة ذاتها ، وان هذه النتيجة سوف تكون صالحة لكل زمان ومكان ، فهذا يعني السير في اتجاه واحد ، فالكشف عن مستوى تعارض النصوص وتناقضها ينتج بحثاً نقدياً محدوداً ، لكن التفكيك يعمم هذا التعارض ويجعله منهجاً قابلاً للتطبيق على نحو شامل على كل النصوص ، وهذا من الأسس الخاطئة في التفكيك[٢٢].

ان الزعم التفكيكي الذي يرى في النصوص قوى تناقض وتفكيك لا يمكن سحبه على كل النصوص ، لانه سوف يتحول الى ممارسة شمولية تنتمي الى الفكر الميتافيزيقي الذي لا يميز الفروق الجوهرية الكامنة بين النصوص ، ولا يبرز الخصائص الابداعية المتفاوتة بينها ، وانما يعاين النصوص بمعيار شمولي واحد لا يختلف كثيرا عن المعايير النقدية السابقة ، فكل النصوص مفككة ومقوضة تلقائياً ، لذا يخرج التفكيك من النقد ، لان النقد يعني لديه تمييز النصوص وإبراز التفاوت الإبداعي بين نص وآخر ، ولكن هذا الاعتراض الذي أطلقه (اليس) يمكن سحبه على أغلب المناهج النقدية التي تتعامل مع النصوص، فالبنيوية ترى ان في كل نص أنساق منتظمة تحكم بنيته ، وجمالية التلقي ترى ان هناك فجوات مفترضة يقوم المتلقي بردمها من أجل إعادة إنتاج النص على وفق رؤى القارئ وليس على وفق مقاصد المؤلف وهكذا ، لذا نعتقد ان هذا الاعتراض يبقى ممارسة تشترك فيها العديد من المقاربات النقدية ولا يخص التفكيك وحده ، ولكنه يضمر في طياته ان التفكيك لا يختلف كثيراً عن المناهج النقدية الأخرى .

أما شمولية الممارسة التفكيكية فانها تعد من أبرز نقاط ضعفها، لانها تزعم ان كل النصوص مأزقية، وانها تؤول الى تفكيك ذاتها تلقائياً ، وهي فرضية لا يمكن الوثوق بها، لانها تضع النصوص كلها في مستوى واحد ، وتعمد الى إسقاط الطروحات الفكرية القبلية على النص المحلل من جهة ، وتحاول ان تنسف السياق التاريخي والسوسيولوجي للتحليل النصي من جهة أخرى ، وهذا يتناقض تناقضاً كلياً مع الأسس المعرفية التي تتبناها هذه الممارسة النقدية .

وفي مؤتمر اللغة الحديثة (١٩٧٦) الذي شارك فيه (واين بوث .م. هـ ابرامز ، وهيليس ج . ميلر) وجه هؤلاء النقاد نقداً لاذعاً الى التفكيك ضمن إحدى جلسات الندوة المتمحورة حول موضوع "حدود التعددية The Limits of Pluraism" ، فالناقد (واين بوث) يرى ان الناقد الذي ينكر سلطة النص أو مؤلفه فهو مثل الشخص الذي يحاول الطيران من دون جناحين فيسقط صريعاً على الارض ، بينما يعد (ابرامز) دريدا المسؤول الرئيس عن اقصاء سلطة المؤلف وسلطة النص ، لان (دريدا) يرفض اللجوء الى أي ذات متكلمة أو كاتبة، أو كوجيتو ، أو وعي يكمن في سياق النص، كما انه يرفض الاعتقاد بأي مقولة تعني شيئاً ما ، فالنص - من وجهة نظره – هو غرفة صدى تختزل فيها المعاني الى تصاديات متواصلة لا تشير الى أي شيء وترن في الفراغ .

ويستمر الناقدان (بوث وابرامز) في نقد المنهج التفكيكي ، فيعتقدان ان الخطر الذي يحمله هذا المنهج يكمن في مكنوناته الابستمولوجية والميتافيزيقية ، فأي إقصاء لسلطة الكاتب أو سلطة النص سوف يؤول الى العدمية والفوضى ، ويشاطرهما الرأي الناقد (ميلر) الذي يرى ان العدمية حضور غريب لا يمكن تحويله ضمن الميتافيزيقيا الغربية، فالنص الموحد المتجانس وهم مثل مفهوم الذات الموحدة ، ومزية النقد التفكيكي هي انه يضع هذا التصور المأساوي في مركز نشاطه ، ويعتقد (ميلر) ان التفكيك ليس تعرية للنص ، وانما إظهار ان النص قد عرّى نفسه سلفاً ، فأساسه الصلب ليس صخرة وانما هو سراب [٢٣].

ويعلل الناقد (رولات بارت) التصور التفكيكي حول النص حينما يعتقد ان النص هو العلامة على انعدام السلطة ، او الانتفاضة على السلطة ، فالنص يحمل في طياته قوة الانقلاب اللانهائي على الكلام الاتباعي ، وهذه الطروحات كانت نتيجة للتحول الفكري الذي تم في المشهد الثقافي الفرنسي بعد أحداث مايو (١٩٦٨) فقد أدت تلك الاحداث الى تغيير الصورة النقدية للفاعل الاجتماعي والذات الناطقة ، وان السلطة ذاتها كمقولة خطاب كانت تتبعثر وتنتشر مثل الماء الذي ينساب في كل اتجاه ، بل حتى المعارضة أصبحت وسيلة قهر يتردد باسمها خطاب السلطة، أي الخطاب الشمولي ، ويمكن ملاحظة أن أغلب أشكال التحرير المزعومة (تحرير المجتمع، الثقافة، الفن، الجنس) كانت تعبر عن ذاتها في شكل خطاب سلطوي يقمع الآخر، أي ان هذه الاشكال تمارس دوراً مزدوجاً ، فهي تفتخر بتحررها وكشفها للمقموع والمهمش والمسحوق ، من دون ان تدرك انها كانت تعمل على سحقه وقمعه . وفي ضوء ذلك تخلخلت الأسس الابستمولوجية للنص والذات الاجتماعية والسلطة ، وغدا النص علامة على تفكك السلطة وانحلالها [٢٤].

إن دريدا لم يكن بعيداً عن أحداث مايو (١٩٦٨) ، وانما كان في قلب الحدث، فحاول إعادة قراءة المشهد الثقافي الفرنسي المتمرد على كل المعايير المعرفية التي أنتجها الفكر الغربي ، بدءاً من الفلسفة اليونانية ، مروراً بفلسفة القرون الوسطى ، وانتهاء بالفلسفة الحديثة ، وهذه الفلسفة تتمحور حول ميتافيزيقيا الحضور، أي الايمان بوجود عالم خارج نطاق حدود المادة، وهو عالم الحقيقة المطلقة والمعنى المطلق ، والذات القادرة على الوصول الى معرفة انسانية شاملة عبر اللغة، لان هذه اللغة تكون شفافة تحمل بين أنساقها المعاني الكامنة التي يصبو اليها المتلقي ، فأصبح الفكر الانساني أسيراً لسلطة الحقيقة المطلقة ، ولسلطة اللغة ولسلطة المنطق الشمولي الذي يحكم كل نظام معرفي في كل زمان ومكان ، لذا أسهمت هذه الأحداث في تشظي الذات الاجتماعية الفاعلة ، وخلخلة الأسس المعرفية الساكنة ، وانهيار السلطة السياسية والاجتماعية والثقافية . وربما تكون هذه الأحداث من أهم مبررات نشأة الفكر النصي في الثقافة الغربية الحديثة ، وان كانت ملامح هذا الفكر قد ظهرت منذ وقت مبكر كما نجدها جلية في تراث الشكلانيين الروس الذين أسهموا اسهاماً فاعلاً في نشأته ووضع اللبنات الأولى له .

ان تفكك السلطة وانحلالها كان مشروعاً ثقافياً أسهمت فيه العديد من الطروحات السابقة، وربما تكون بداية هذا المشروع هي لحظة استشكال سلطة العقل وهيمنته الطاغية على النتاج الفكري الانساني ، ومساءلة طروحاته المنطقية الصارمة التي تعمد جاهدة الى اقصاء كل النتاجات الفكرية التي تتمرد على الأسس المعرفية الثابتة ، وتخرج عن سلطتها ، لذا يمكن القول ان الاحداث السياسية التي شهدتها فرنسا في مايو (١٩٦٨) كانت تتويجاً لتلك المحاولات وليس بداية فعلية لها، وان تدهور السلطة وانحلالها كان مشروعاً ثقافياً قبل ان يكون مشروعاً سياسياً .

ومثلما تعرض التفكيك لهجمة من الانتقادات اللاذعة ، فقد اكتسب مجموعة من النقاد الذين تبنوا طروحاته ، وانبرى بعضهم بالدفاع عن التفكيك ، عندما زعم ان التفكيك اجترح منطقاً مغايراً عن المنطق القديم لذا لا يمكن انتقاده وفق معيار العقل والتحليل المنطقي القديم ، لانه يشتغل باسلوب مغاير فيحتاج الى منطق بديل يكون ملائماً لتحليل الممارسة النقدية التفكيكية ، وقد تبذل بعض الجهود الجادة لبيان أهمية ذلك المنطق الجديد، ولعل من أبرز هذه المحاولات هي المحاولة التي قامت بها (باربارة جونسون **Barbara Johnson**) لتدشين الأسس المعرفية لذلك المنطق الذي يتجاوز حدود المنطق القديم ، وترجع الناقدة الى نصوص دريدا لتوضيح آلية المنطق الحديث عندما تقتبس نصاً من كتاب (دريدا) (التشتيت Dissemination) الفقرة التالية :"ومن ثم ليس من قبيل الخطأ القول ان (مالارميه) افلاطوني أو هيجلي ، ولكنه قبل كل شيء ليس قولاً صحيحاً ، والعكس

صحيح ، اذ بدلاً من البنية البسيطة إما هذا / أو ذاك يسعى التفكيك الى توسيع خطاب لا يقول إما هذا / أو ذاك ، ولا يقول كلا من هذا / وذاك ، ولا حتى لا هذا / ولا ذاك ، وفي الوقت نفسه لا يتخلى كلية عن هذه الاساليب المنطقية " . ثم تعلق الناقدة على طروحات دريدا التي تجترح منطقاً مغايراً ، فمقولة (دريدا) (إما هذا / أو ذاك) ما هي إلا محاولة لتفكيك قانون عدم التناقض في التراث المعرفي الغربي ، وعلى الرغم من محاولتها الرائدة في هذا المجال فانها لم تقدر على تقديم رؤية متكاملة لهذا المنطق الجديد [٢٥].

فهل أنتج التفكيك منطقاً مختلفاً عن المنطق الكلاسيكي القديم وأسسه المعرفية الثابتة ، وهل يتناقض هذا المنطق مع المنطق القديم ؟ وما الأسس المعرفية التي شيدها هذا المنطق الجديد ، وما آليات اشتغاله في مقاربة النصوص؟ . وما الغاية التي يصبو اليها ، وهل يقدر على انتاج أنظمة معرفية مغايرة تسهم في انتاج حضارة جديدة ؟ .

ان المزاعم التي ساقتها (جونسون) لم تصمد أمام البحث في جينيالوجيا الفكر التفكيكي ، فالمحاولة التي أقدم عليها (دريدا) لم تكن محاولة جادة لاجتراح أسس منطقية جديدة ، وانما هو تصور سوفسطائي قديم يجمع بين القضية ونقيضها ، أي انه ليس منطقاً جديداً يجترح معرفة مغايرة ، وانما كان تصوراً مطروحاً قبل نشأة المنطق الارسطي ، ويطلق عليها بعض الدارسين بمرحلة ما قبل المنطق ، وهي المرحلة التي حاول (دريدا) إعادة انتاج طروحاتها بلغة معاصرة وباسلوب مغاير ، ليجعلها معرفة بديلة تقابل المعرفة الكلاسيكية [٢٦].

ويبدو ان النقد المنطقي الذي تعرض له التفكيك هو الذي وضع الناقدة (جونسون) في هذا المأزق الحرج، فأغلب النقاد الذين تعرضوا للتفكيك عاينوه في ضوء الأسس المعرفية للمنطق القديم، وقرأوا نصوصه على هدي تلك الأسس ، لذا تبدو هذه النصوص متهافتة أحياناً ، وتظهر لا منطقيتها وتناقضها الداخلي أحياناً أخرى ، وفي ضوء ذلك ذهبت الناقدة بعيداً في تصوراتها حين نسبت الى (دريدا) ما ليس له، فجنت على المنطق وعلى الناقد (دريدا) في الوقت ذاته.

ويزعم المدافعون عن التفكيك مزاعم صريحة وضمنية ، ولعل من أبرز هذه المزاعم ان التفكيك حركة تحريضية جسورة ، تسعى الى الابتكار المثير وتتحدى السياق الثقافي بأفكار جذرية مقلقة ، وان ممارسته النقدية أعمق معرفياً من الطرق الأخرى على الرغم من مساحة الجهد النظري التي تشغل الجزء الأهم في النظرية عند رسم خريطة المشهد النقدي . ويفند (جون اليس) هذه المزاعم التي حاول تدبيجها المدافعون عن التفكيك ، فيرى ان أغلب الثيمات الرئيسة في التفكيك كانت جزءاً حيوياً من المشهد النقدي القائم قبل مجئ التفكيك ذاته ، لذا لم يشكل هذا المنهج إضافة نقدية ملموسة يمكن

رصدها ، فضلاً عن ان موضوعات التفكيك التي طرقها كانت من أهم الركائز الأساسية في المشهد النقدي السابق عليه . "٢٧"

إن المزاعم التي أطلقها المدافعون عن التفكيك لن تصمد أمام الفحص المتأني لطروحاته ، فالعمق الفكري المزعوم لم يكن إلا إعادة صياغة التصورات القديمة بشكل حداثي مغاير حيث يعطيها (دريدا) زخماً وقوة وشكلاً جديداً لم تعهده من قبل ، ويحاول ابراز التصورات المعرفية المقصية التي كانت تشكل هامشاً معرفياً سابقاً ، بعد ان يسلط عليها الضوء ويجعلها في مركز ممارسته النقدية .

وفي هذا السياق يفضح الناقد (جوناثان كلر) التفكيك ويعرّي مقولاته حين يرفع الغطاء عن المقولات الغرائبية والصياغات المثيرة التي يدشنها هذا المنهج ، لتتحول الى تصورات عادية غير مهمة ومطروقة من قبل ، فعلى سبيل المثال يرى هذا الناقد ان الزعم الصادم " كل تأويل هو تأويل مغلوط " ما هو إلا اعادة صياغة لمقولة " لا يوجد تأويل نهائي أخير يكتنزه النص" وهي إحدى طروحات الهيرمينوطيقا الحديثة ، لذا يسعى (كلر) الى كشف غطاء اللعبة اللفظية التي يمارسها التفكيك في طمس مرجعياته النقدية ، وفي ضوء ذلك يعتقد (كلر) ان عبارة " كل تأويل هو تأويل مغلوط " لا تستحق كل هذه الجلبة المثارة حولها [٢٨].

ويتمتع الناقد (جوناثان كلر) بموهبة فريدة في تذليل المقولات اللفظية التي يدشنها خطاب التفكيك، ويحاول ترويض جموح تلك المقولات وإزالة الغموض المتعمد الذي يغلف المقولات السابقة لطمس أصولها ومرجعياتها ، لذا يسعى هذا الناقد الى تعرية التفكيك وفضحه وهتك ستره ، وازالة ثوب الغرابة والغموض الذي يتدثر به ، كما يسعى من جانب آخر الى تأصيل تلك الطروحات التفكيكية النقدية ، ليثبت ان أغلب طروحات التفكيك هي في ألاصل طروحات نقدية سابقة ولكن أعيد إنتاجها عن طريق التمويه واللبس والتغريب من أجل طمس أصولها ومحو جذورها المعرفية السابقة .

ويبرز التوتر بين التفكيك ومعارضيه حين يحاول التفكيكيون الرد على الاتهامات المتكررة لهم عندما يصف المعارضون التفكيك بالآلية والرتابة ، لان الجهد الذي يحاول التفكيكيون القيام به لقلب الثنائيات المتعارضة يصبح مثيراً لملل يعدل ماتثيره التعريات المخجلة التي يقوم بها الفرويدون للكشف عن الثنائية الجنسية الكامنة في البشر ، وعلى هذا التصور ينتهي النقد التفكيكي الى كونه مجرد تنويعة مضافة الى النقد المضموني . ويرد (جوناثان كلر) على هذه الاتهامات الموجهة ، فيرى ان

النقد التفكيكي لا يحاول تطبيق دروس الفلسفة على الدراسات الادبية ، وانما يحاول استكشاف المنطق النصي في النصوص الفلسفية [٢٩].

ويعلل (جون اليس) انعدام الحوار الفاعل بين المؤيدين للتفكيكية والمعارضين لها ، وقد أدى ذلك الى ندرة المشاريع المناهضة للتفكيك واختفاء الكتب المعارضة له، ويعود سبب ذلك الى ان أصحاب التفكيك يرفضون النقد ويردون على أي انتقاد بعداء سافر ومن دون احتشام ، وسيكون المنتقد هدفاً لسهامهم ، وليس هذا الاستهداف من قبيل الاستثناء ، بل ينشأ من محاولة أصحاب التفكيك تقنين معايير المشاركة الحوارية على نحو كل المشككين بطروحاتهم الذين يتهمون عادة بانهم يجهلون ذلك المشروع جهلاً فاضحاً، ويعمدون الى اختزال طروحاته في أطر محددة ، أو يفتقدون الحماسة الكافية لممارسة التفكيك على النصوص الفلسفية والادبية الناتجة من مشاعر النفور من التفكيك وكراهته .

ان النقد الموجه للتفكيك حين يتعرض لانتقادات لاذعة ، فهذا يعني ان التفكيك تحول الى قوانين معيارية صارمة ومغلقة ، وليس الى ممارسة فكرية مفتوحة تقبل النقد والتحوير والتطوير ، وهذه المعيارية هي نمط من أنماط التفكير الميتافيزيقي الذي يسعى هذا المنهج لتقويضه ، فهل وقع التفكيك أسيراً للطروحات التي حاول تفكيكها ونقضها ؟.

ويتناقض المدافعون عن التفكيك في دفاعهم عنه ، فهم يطالبون أحياناً بوصف التفكيك توصيفاً سليماً ودقيقاً ، يكون مقابلاً للتوصيف المنحرف الذي يقدمه بعض نقاد هذا المنهج ، وهم بذلك يسعون الى تأطير التفكيك وتحديده عبر طرح التوصيف الملائم له حسب تصورهم ، ولكنهم أحياناً أخرى يعتقدون ان التفكيك موقف لايمكن تحديده ، وان أية محاولة لتحديده تكون محاولة اختزالية تعمد الى تشويه المنهج وتحريف مقولاته ، لذا يظل هذا المنهج عصياً على التحديد والقولبة [٣٠].

يعتقد المدافعون ان التفكيك منهج لا يمكن تحديده أو وصفه ، وكأنه فكر يخرج عن نطاق الوجود الانساني ، وقد يأتي هذا الطرح من أجل تحصين التفكيك من الهجمات الفكرية التي تتعرض لفضائه المعرفي ، فضلاً عن ان النقد الموجه للتفكيك لا يعمد الى تحديده أو وصفه ، وانما يتجه نحو مقاربته ومساءلة طروحاته وتتبع أصوله المعرفية ، والكشف عن تناقض طروحاته وتفككها ، وقد وقع أصحاب هذا الاتجاه في التناقض عندما حاولوا تحديد المنهج تحديداً ملائماً حسب تصورهم من جهة ، وزعموا ان هذا المنهج لا يمكن تحديده من جهة ثانية، كما انهم وقعوا في التصورات المعيارية

حين تبنوا التحديد الملائم الذي يرونه مناسباً ، فكيف تبنوا الأسس المعيارية التي يرفضها المنهج الذي يدافعون عنه رفضاً قاطعاً ؟؟.

ويمكن تصنيف الفريق المدافع عن التفكيك الى اتجاهين : الاتجاه الاول هو الاتجاه المدافع عن القراءات الاختزالية عبر تقديم توصيفات اختزالية أو غير دقيقة أو غير مناسبة تسعى الى تشوية التفكيك وتعمية معالمه ، أو معاينته بشكل جزئي مبتسر ، وتعميم ذلك على كل طروحات المنهج التفكيكي ، لذا يرى هذا الاتجاه ان هذا المنهج لا يمكن وصفه وتحديده ، أما الاتجاه الثاني فانه يدافع عن التفكيك ضد القراءات العقلانية التي تعاين التفكيك ضمن أسس معيارية عقلية صارمة تتعارض مع الطروحات اللاعقلانية التي ينتهجها التفكيك تعارضاً كلياً ، لذا يقترح هذا الاتجاه أن يعاين التفكيك على وفق منطق جديد يكون بديلا عن المنطق الكلاسيكي، ولكن الشيء اللافت ان أغلب هؤلاء لم يبتعد في تصوراته عن التمركز العقلي الذي يرمي (دريدا) الى تفكيكه وتقويضه .

وفي ضوء ذلك يمكن القول ان التفكيك أثار جدلاً معرفياً ساخناً في الأوساط الثقافية الغربية ، وأسهم اسهاماً فاعلاً في بزوغ فجر مرحلة مابعد الحداثة بكافة أطيافها الفكرية ، وأسس مرحلة معرفية مغايرة تتباين تبايناً حاداً مع المراحل المعرفية السابقة، لذا فان الصراع بين التفكيك ونقاده هو صراع بين حقبتين فكريتين هما : الحداثة وما بعد الحداثة ، فأنصار الحداثة وتياراتها العقلية القارة وجدوا في التفكيك خطراً داهماً يهدد الأسس المعرفية الساكنة ويقوضها ، ويدمر صرح المنجز الحضاري القائم على هذه الأسس ويحطمه ، فيضيع الفكر الانساني وسط متاهة التناقضات والانزلاقات والشروخات التي يرصدها التفكيك ، وتنفرط وحدته المنطقية المتماسكة .

اما تيار ما بعد الحداثة فانه يدافع عن التفكيك ويعده ثورة فكرية عارمة أسهمت في اسقاط سلطة العقل ومنجزاته الفكرية التي أنتجها عبر تاريخه الطويل ، لان هذا العقل– في تصورهم- لم يسهم في حل جميع الاشكاليات المعرفية التي واجهته ، وأصبح عائقاً في وجه التحولات الثقافية الفكرية التي يشهدها المجتمع الانساني ، كما انه لم يستطع تفسير أغلب التطورات المتسارعة التي شهدها المشهد الثقافي العالمي ، لذا وجب تفكيك هذا العقل وتقويضه ، لانه كان مسؤولاً عن عنف الغرب وسطوته وارهابه وتحكمه بمصائر الشعوب تحت ذرائع ومسميات شتى ، كالعدالة ، والحرية ، والتنوير ، والعقلانية، والديمقراطية ، وغيرها .

ويرى هذا الاتجاه ان العقل استنفذ شرطه التاريخي ، وأصبح هماً ماضوياً عندما فقد فاعليته الانسانية ، وخرج عن نطاق إلاطار الموضوع له ، وتحول الى أداة للهيمنة والتغطرس والتسلط ، لذا وجب تفكيكه لتخليص الواقع الانساني من آفة العقل وسطوته وغطرسته .

اشكالية الممارسة : -

إن أغلب المناهج النقدية تطرح مقاربات نقدية وخطوات إجرائية تعاين بها النصوص من أجل اكتشاف عوالمها الممكنة وآفاقها المفترضة ، وبذلك نجد ملامح المنهج النقدي واضحة وبارزة ، فنقول مثلا المنهج الاجتماعي ، والمنهج البنيوي ، والمنهج السيميائي ، ولكن الأمر يبدو ضبابيا مع التفكيك ، فهو ممارسة لاتمتلك هوية واضحة يمكن تلمسها ، فهل هو منهج أم قراءة أم استراتيجية ، ولماذا يصر فيلسوف التفكيك على التهرب من التحديد ، وتغييب الأسس المعرفية لمنهجه النقدي ؟ . وهل كانت هذه الممارسة اعتباطية أو مقصودة لذاتها ؟؟ .

إن التفكيك سيرورة مستمرة لا تعرف الثبات ولا الاستقرار ولا التموضع ،انه يسعى جاهداً الى التملص من التقولب ، والتموضع في اللاموقع الفلسفي الذي يسائل منه الفلسفة ، ويحاول أن يشن عنفاً ضد عنف سابق، عنف الأسئلة الناسفة للتكلس الفكري الذي أنتجه الفكر الغربي ، وعنف الأسئلة التي تنسف سلطة العقل وهيمنته الطاغية ، فهو لايعرف الهوادة والرحمة والرجاء[٣١].

ولعل من أبرز سمات التفكيك انه لم يتبلور في نمط فكري قار، ولم تتضح معالمه ، وانما ظلَّ يتموج من حقل الى آخر ، ليثبت زوال الحدود الفاصلة بين الحقول المعرفية المتباينة ، أو ليبرهن على عدم ثبات المنطلقات المرجعية للممارسة النقدية ، وهذا ما جعل الناقد (جوناثان كلر) حائراً في وصف المقاربة التفكيكية ، فيرى ان التفكيك يتخذ مظاهر عدة ، فمرة يتجلى موقفاً فلسفياً ، وثانية يبدو طريقة في القراءة ، أما دارسو نظرية الادب فقد عاينوه منهجاً في القراءة والتفسير والتأويل [٣٢].

ان التردد بين الموقف الفلسفي والمنهج والاستراتيجية يوحي ان التفكيك كان يمارس حواراً مع النصوص من دون ان ينطلق من معايير نقدية ثابتة ، وان هذه المعايير قد تستنبط من الممارسة التي يقوم بها ، لذا تجاهل الناقد التفكيكي رسم معالم الممارسة النقدية ، وان كان (دريدا) يميل الى الاستراتيجية ليعطي منهجه بعداً استشرافياً خاصاً يتجاوز به الراهن النقدي ، ليظل الحكم عليه مؤجلاً .

ويتأمل الناقد (كريستوفر نورس) تسلل المقولات التفكيكية الى النصوص المقروءة ، وعدم قدرتها على تشكيل مشروع مستقل لها يظل بعيداً عن تلك النصوص ، فيتصور التفكيك نشاط قراءة يظل مرتبطاً بالنصوص واستجوابها ، ولا يقوى على ايجاد نظام مفاهيمي يكون مستقلاً وقائماً بذاته .

وقد أنتج (دريدا) شكوكاً عديدة في محاولة تحديد منهجيته ، وان فعالية مقاربته تستند استناداً رئيساً الى (الكتابة) التي ترفض وجود أي نوع من المعاني المستقرة أو النهائية ، لذا يرى ان اطلاق سمة (مفهوم) على الكتابة ، يعني السقوط في فخ تخيل وجود نظام فكري هرمي تكون الكتابة في قمته [٣٣].

إن (نورس) يشدد على أمرين مهمين هما : ان التفكيك ممارسة ارتبط وجودها مع وجود النص المقروء ولا يمكن الفصل بينهما، وبذلك لا يمتلك التفكيك وجوداً معرفياً خاصاً مستقلاً به يمكن الأشارة اليه وتحديده ، والأمر الثاني ان فعالية التفكيك ارتبطت ارتباطاً عضوياً بالكتابة كي تتملص من التحديد، وتبقى مشروعاً دائماً للتأجيل ، وان كان هذا المفهوم هو تكملة لمشروع الاختلاف (السوسيري) ، وبذلك كان (دريدا) محدوداً في مقاربته للنصوص، ولكنه كان منفتحاً في ربط هذه المقاربة مع (الكتابة) كي يضفي بعداً لا متناهياً على مشروعه النقدي.

ويمارس (دريدا) التضليل المنهجي ليموه مشروعه النقدي ، فذهب الى القول ان التفكيك ليس تحليلاً ولا نقداً ، لأن تفكيك عناصر البنية لا يعني العودة الى الأصل الذي يكون غير قابل للتجزئة ، كما ان التفكيك ليس نقداً بمعناه العام أو معناه (الكانتي) ويرفض وضعه في خانة المنهج (method) لان التفكيك ليس منهجاً ، ولا يمكن تحويله الى منهج ، وهل يمكن تحويله الى منهج للقراءة والتأويل ؟. ولا يكفي القول ان التفكيك لا يمكن اختزاله الى أدوات منهجية أو مجموعة من القواعد والاجراءات القابلة للنقل ، فكل حدث تفكيكي يبقى فريداً ومتموقعاً بالقرب من لغة خاصة [٣٤].

إن محاولة (دريدا) الهروب من الاحتواء أو التقولب ما هي إلا محاولة ساذجة على مستوى التنظير ، ولكنها تنهار على مستوى الإجراء ، لان التفكيك عندما يمارس فعله الاجرائي على النص ، أو عندما يتموضع داخل النصوص ، فانه يتحول الى إجراء نقدي محدد لا يختلف عن أي إجراء آخر، وتبدو حدوده وتصوراته جلية وظاهرة ، وبما ان التفكيك لا يتشكل إلا عبر النصوص ، فان المحاولة التنظيرية التي حاول (دريدا) فيها الهروب من التحديد تعد عبثاً كلامياً لا يمكن الركون اليه ، والوثوق به.

ان (دريدا) لا يريد تحديد التفكيك أو موقعته ضمن إطار فكري محدد، ولكنه يتناقض مع ممارسته، لان التفكيك حين يتموضع داخل بنية النصوص لتفكيكها ، فانه سوف يحدد له إطاراً محدداً إثناء ممارسته فعل التفكيك ، أي لحظة انطلاق إجرائه النقدي وحواره مع النصوص ، أو لحظة الشروع بالتفكيك ، لذا نرى ان محاولته اليائسة الانفلات من التحديد ماهي إلا خدعة ماكرة

حاول انتاجها وتسويقها ليموه لحظة التحديد في الإجراء النقدي من جهة ، وكي يمنح منهجه أفقاً مفتوحاً غير قابل للاحتواء والتدجين والتقولب من جهة أخرى .

إن كل إجراء نقدي هو تموقع وتحديد لحظة اشتباكه مع النص ، سواء وافق الناقد على ذلك أم رفض، لان هذا الاجراء يكون قائماً لحظة بدء الحوار أو الكشف أو قراءة النص ، وتظل هذه اللحظة حاضرة للتحديد ، ولا يمكن الهروب من سطوتها وفعلها الاجرائي ، ومهما حاول (دريدا) التملص منها فانها تبقى حاضرة في إجرائه النقدي ومتمركزة فيه ، وفي ضوء ذلك يتهافت الزعم القائل ان التفكيك لا يمكن تحديده .

وفي دراسة مقارنة بين التفكيك والتأويل يتناول (جون غروندان) تحديد (دريدا) للتفكيك الذي كان ينفر نفوراً شديداً من تأطير ممارسته النقدية وتقديم التعريفات اليسيرة والاختزالية لها ، ولكنه لم يتردد في طرح تعريف اعتباطي متهور يوسع فجوة الإبهام من دون ان يقلصها ، ويروم المخاتلة والمراوغة تجاه منهج نقدي يرفض دوماً التحديد والتنميط ، ان التعريف الذي يطرحه دريدا يهدف الى التحرر من الصفة الموضوعية المصاحبة لكل مفهوم وتصور ، ليتحول الى إشارة أو مجاز يكون من المحال إدراكه والقبض عليه ، ان التعريف الذي يغامر (دريدا) في طرحه هو ان التفكيك ((أكثر من لغة)) [٣٥].

في البدء يبدو هذا التحديد متناقضاً مع كل المحاولات السابقة التي حاول فيها فيلسوف التفكيك الهروب والمراوغة والانفلات من قبضة التمركز العقلي الذي يميل الى موضعة المفاهيم والتصورات وتصنيفها ، من أجل بناء أنظمة فكرية تستند الى أسس معرفية راسخة ، فهل وقع (دريدا) أسير الطروحات التي حاول نقضها وتقويضها ؟ واذا كان التفكيك أكثر من لغة فكيف يمكن مقارنته مع المقولات التفكيكية الرافضة لوجود أي شي خارج حدود النص ؟ . لان عبارة ((أكثر من لغة)) تشي ان هناك واقعاً يقع خارج حدود اللغة ، وهذا ما يرفضه التفكيك بصورة مطلقة ، فهل وقع (دريدا) في مأزق منطقي كان يتهرب دوماً من مواجهته ؟.

ويزعم بعض النقاد ان التفكيك ايديولوجيا ثورية تعددية تهدف الى تغيير القناعات الراسخة، ولكن هذا التوصيف بعيد عن الواقع ، لان التفكيك هو ايديولوجيا القبول البراجماتي للوضع القائم والخنوع له ، والتكيف معه وليس تثويره ، أي اللعب مع الواقع بدلاً من تغييره ، وهو دعوة للتسوية وليس المساواة، أما التعددية المزعومة فهي انكار للنظم المعيارية مهما كان نوعها ، وبذلك تتخذ شكلاً رجعياً غارقاً في الرجعية بسبب انكارها لهذه المعيارية ، وقد يأخذ التفكيك شكلاً بروميثياً عند رفضه

فكرة الإله المتجاوز ، ولفكرة القداسة ، ويرفض كذلك مركزية الانسان ووعيه القادر على إنتاج المعرفة الانسانية ، وبذلك تنهار أسسه الثورية المزعومة [٣٦].

ان القراءة التبجيلية للتفكيك تسهم في ترويج الوعي النهلستي المعتم الذي يرفض المنجز الحضاري الغربي ، ويعلن افلاس منظومة الحداثة القائمة على العقل والمنطق، ويفكك مشروعها القائم على مركزية الانسان ، من دون ان يطرح بديلاً معرفياً مناسباً ، لذا فان وصف التفكيك بالايديولوجية الثورية يبتعد كثيراً عن الواقع ، لأن الثورة في أبسط مفاهيمها هي الوعي بالتغيير الجذري وطرح البدائل المناسبة، أما التفكيك فانه يسعى الى تقويض الواقع وليس تهميشه ، والثورة هي تجاوز لما هو كائن وليس تدميراً لما سوف يكون .

ويتردد بعض النقاد في تحديد هوية النص التفكيكي ، فمن جهة يرى ان نصوص (دريدا) تنتمي الى الفلسفة عندما تحاول إثارة أسئلة معرفية حول الفكر، اللغة ، الهوية ، وغيرها ، فضلاً عن انها تثير أسئلة عبر حوارها النقدي مع النصوص الأخرى (افلاطون، هوسيرل، هايدجر) ، لذا فان كتاباته تستوجب قارئاً ملماً بالفلسفة ، وعلى الرغم من الهوية الفلسفية للنص التفكيكي ، فانه لم يشكل ثقلاً في الفلسفة المعاصرة .

ومن جهة ثانية يرى ان كتابات دريدا أكثر تجانساً مع النقد الأدبي منها الى الفلسفة ، لانها تستند الى فرضية تطبيق المقاربة البلاغية على النصوص الادبية والنصوص الفلسفية ، وبذلك تزول الحدود الفاصلة بينهما [٣٧].

ان نصوص (دريدا) ليست نصوصاً تتحدى التصنيف حتى نتخبط في وصفها ، فمساءلة القضايا المعرفية الاشكالية لا تنتج نصاً فلسفياً مستقلاً له سماته الخاصة ، ما لم تنطلق من مرجعية فكرية واضحة مغايرة تسعى الى تأسيس معرفي ناضج ينطلق من مقدمات ليصل الى نتائج ، وهذا ما يفتقر اليه التفكيك ، لانه يعاين النصوص الفلسفية بمنظار بلاغي يهدف الى كشف الأبنية البلاغية المطموسة فيها ، وأحياناً يضحي بالفلسفي من أجل البلاغي ، لذا نرى ان نصوصه تميل الى النقد الادبي أكثر من ميلها الى الفلسفة حتى لو كانت تطرح أحياناً قضايا فلسفية ، لان طرح مثل هذه القضايا لا يشكل فلسفة خاصة ما لم تكن هناك رؤية فلسفية شاملة تعالج جميع هذه القضايا بشكل مغاير وفق منهجية فكرية سليمة .

ويرفض الناقد (كريستوفر نورس) عد التفكيك منهجاً ، ويرى ان من العسير اختزال التفكيك في صيغة محددة تجعله أشبه بـ (المنهج) ، ويتأثر هذا الناقد بخطى (جوناثان كلر) حين يعاين الممارسة التفكيكية التي تقوم بتعرية الثنائيات المفاهيمية ، أي تحليل أنساق الفكر التراتبية تحليلاً مسهباً

يحاول إظهار مواطن ضعفها بما يمكننا بعد ذلك من إعادة كتابتها عبر ترتيب الدلالة النصية ترتيباً متبايناً ، أو يمكن تحديد الممارسة التفكيكية بانها التفتيش الواعي عن مواطن العمى ، أو لحظات التناقض الذاتي ، حيث يفصح النص بصورة لا ارادية عن التوتر القائم بين بلاغته ومنطقه ، بين ما يقصده ظاهرياً وما يعنيه رغماً عنه، لذا يقتضي التفكيك عينة من الكتابة عبر عملية القلب الاستراتيجي، فيتم الوقوف على الأجزاء الهامشية مثل الاستعارات العرضية ، الهوامش ، الانعطافات الطارئة ، وهي التفاصيل التي أهملها المفسرون الذين يدعون امتلاك الحقيقة [٣٨].

ويتردد (سلفرمان) في توصيف التفكيك ، ويرى ذلك من الاشكاليات المعرفية التي يتم مواجهتها ، فيعتقد ان التفكيك نظرية في القراءة تتحدى المقاربات الكلاسيكية الرائجة والثابتة في مقاربة النصوص، وهي تتمرد دوماً على الأسس المعيارية الصارمة . وأحياناً يعاين التفكيك من زاوية مغايرة ، فيرى التفكيك يشبه الفلسفة التحليلية كونها تحاول استكشاف حدود المعرفة العلمية من دون ان تقترح تقديم بدائل عن المخطط الميتافيزيقي ، ويتموضع التفكيك في المفصل القائم بين تفكيك النظام وبنائه، ويتحول التفكيك الى استراتيجية تتشكل من ثلاث أبعاد :-

١- البعد الاول بتعيين الثنائيات التي تعمل داخل الفكر الميتافيزيقي ، ثم تقوم بقلب التراتبية الضمنية التي يؤسسها التقابل .

٢- نقش كتابة المرء الخاصة في المكان الذي يشغله (ما لا يمكن حسمه) ، وذلك عن طريق توضيح وظيفتها التمييزية .

٣- محاولة إرجاء تفسير المشروع التفكيكي وتأثيراته [٣٩].

ولعل من أبزر عيوب التخبط المنهجي لدى (سلفرمان) هو تأثره بالتمويه البلاغي المتجذر في اسلوب (دريدا) ، وكذلك التحولات المنهجية التي يشهدها التفكيك ، ففي كتاب (علم الكتابة) كان (دريدا) مبشراً بظهور أحد العلوم الوضعية مثل الكتابة ، ولكنه في مقابلة له مع (جوليا كريستيفا) يزعم ان (علم الكتابة) جاء علماً معارضاً للسيميولوجيا ومناقضاً لطروحاته ويسعى لتفكيك مقولاته النقدية ، وفي موضع ثالث يعرض (علم الكتابة) بوصفه علماً للنصية ، فهل أصبح (علم الكتابة) ينتمي الى أكثر من حقل معرفي ؟. وهل أضاع الناقد (دريدا) البوصلة في تحديد هذا العلم الوافد ؟. ولماذا يتعمد أحياناً التعمية والتضليل والمخاتلة عند تحديد مصطلحاته ؟ .

ويرصد بعض النقاد التباين المنهجي بين التفكيك والمناهج النقدية الأخرى ، فطريقة البحث في هذه المناهج تتم عبر استشكال التصورات التقليدية السابقة ومساءلتها ، ثم هدمها تمهيداً لاحلال التصورات الجديدة محلها حتى يأتي وقت تلقى فيه التصورات مصير سابقتها ، ويتوافق على هذه

الممارسة أغلب الباحثين في الحقول المعرفية المتباينة، أما الممارسة التفكيكية فانها تحاول مساءلة المقولة التقليدية وهدمها عبر تقويض أسسها المعرفية ، ثم تحتفظ بها حتى تتمكن من تسليط الضوء على فعل الهدم نفسه ، الأمر الذي يعني عدم رفضها النهائي لهذه المقولة ، وهذا ما يفصح عنه منطق (لا هذا / ولا ذاك) ، (اما هذا / او ذاك) ، لان منطق التفكيك لن يسمح برفض المقولات التقليدية أو تنحيتها بصورة كاملة [٤٠].

وفي ضوء ذلك يتموضع التفكيك بين هدم الأسس المعرفية الكلاسيكية ، والاحتفاظ بها ليتجلى فعل الهدم الذي يقوم به، فلا هو يترك هذه الأسس على حالها من دون تغيير ، ولا يحاول زحزحتها من مكانها لاحلال تصوراته الجديدة مكانها ، فأغلب المناهج النقدية تقوم بزحزحة التصورات السابقة لتضع تصوراتها الحديثة مكانها باستثناء التفكيك الذي يقوم بهدم المشاريع الفكرية التقليدية والاحتفاظ بها في الوقت ذاته ، وهذا يعني عدم رفضه بشكل نهائي لتلك المشاريع ، ويتردد في موقفه منها بين بقائها وتقويضها ، أي انه يعلن عن حاجته اليها وعدم القدرة على الاستغناء عنها بشكل مطلق ، لان الاستغناء عنها يعني زوال التفكيك وممارسته النقدية ، لذا لا نبتعد كثيراً حين نصف التفكيك بانه منهج نقدي طفيلي يعتاش على نصوص الآخرين ولا وجود له خارج حدود تلك النصوص ، ويؤكد ذلك فشله الذريع في ايجاد مشروع فكري مغاير ينماز به عن الآخرين ، ويكون بديلاً للمشاريع الفكرية السابقة التي تمَّ نقضها ، وعليه ظل التفكيك يدور في حلقة مفرغة لا يمكن الفكاك منها، وهي هدم الظاهرة والاحتفاظ بها، ويعجز في التقدم خطوة واحدة الى الامام .

وينتبه (دريدا) الى هذا المأزق المنطقي في مشروعه ، فيرى ان عملية بعث الأسماء الكلاسيكية ، أو تركها تعمل في نطاق التداول سوف ينطوي على مخاطرة كبيرة، ومأزق منطقي لا يمكن تجاهله ، ألا وهو عملية توطيد النظام الذي تمَّ تفكيكه ، أو النظام الذي ما زال على قيد التفكيك ، أو احتمال النكوص الى هذا النظام [٤١].

إن احتفاظ التفكيك بالنصوص المفككة التي تم نقضها سوف يؤول الى ترسيخ هذه النصوص أو توطيدها حسب اعتراف (دريدا) بذلك، وقد ظل هذا المأزق المنطقي حاضراً من دون أن يجد حلولاً نقدية شافية تخلصه من هذا المأزق ، فكيف يسعى التفكيك الى تثبيت التصورات المعرفية السابقة لحظة تفكيكه وتقويضه لها ؟. وكيف تحاول الممارسة التفكيكية السير الى الأمام في ممارستها الاجرائية ، ولكنها تتقهقر الى الوراء عندما تعود الى التصورات التي تم نقضها !! ؟. وهل يمكن القول ان التفكيك يناقض ذاته في هذه الممارسة النقدية المتناقضة بين النقض والتثبيت وهو يبحث عن

التناقض الكامن في النصوص ؟؟. ألا يجدر به ان يعالج تناقض ممارسته النقدية قبل أن يبحث عن التناقض المزعوم في النصوص الأخرى التي يقاربها ويتموضع بها ؟ .

ويكتشف الناقد (جوناثان كلر) اشكالية معرفية أخرى تقطن الممارسة التفكيكية، فيرى ان التفكيك لا يعرض تصوراً عن الحقيقة ، وانما يقوم بممارسة القراءة بشكل يتجاوب مع التناقضات المنطقية (aporias) الكامنة في النصوص التي تحاول إخبارنا بالحقيقة ، وهو لا يطرح مشروعاً فلسفياً جديداً ، بل يقوم بنقلات شعرية حائمة تروح وتأتي برشاقة استراتيجية لا تسعى الى تأسيس جدلي مغاير ، أو بناء على أرض جديدة، وانما تتحرك داخل عملية البرهنة الفلسفية وخارجها من دون ان تخطو خطوة الى الأمام [٤٢].

إن التفكيك يعجز عن طرح نظرية مغايرة عن الحقيقة تكون بديلاً عن النظريات السابقة التي يختلف معها ، وانما يكون وكده كشف تناقض النصوص التي تحاول اخبارنا عن الحقيقة ، أو تزعم انها توصل الينا هذه الحقيقة ، وبذلك يريد القول ان البنية النصية التي تحمل الينا الحقيقة هي بنية متناقضة ومفككة ، وانها ما هي إلا وهم من أوهام حقبة التمركز حول العقل والفكر الشمولي المطلق ، ويتوقف عند هذا الحد من دون أن يطرح بديلاً ملائماً لهذا التناقض المزعوم في النصوص ، انه بشكل مختزل يلعب على هذه التناقضات النصية ويختبأ خلف ركامها اللغوي الذي تخلفه الممارسة النصية .

وفي ضوء ذلك نجد ان التفكيك لم يكن منهجاً نقدياً واضحاً ، لذا يتردد النقاد في تدجينه وتحديده ، فبعضهم يعده منهجاً في معاينة النصوص من دون ان يحدد خطوات هذا المنهج واساليبه الاجرائية، بينما يراه بعضهم موقفاً فلسفياً لانه يحاور بعض القضايا الفلسفية المطروحة من دون ان يطرح رؤيته الفلسفية ، وأحياناً يكون نظرية في القراءة عند مجموعة أخرى من النقاد ، أما مؤسسه فيرفض تحديده رفضاً قاطعاً ، لذا نراه يتهرب من وضعه داخل إطار منهجي منظم ، فيذهب الى القول ان التفكيك هو ما تفعله (الكتابة) التي ترفض الدلالات النهائية المستقرة ، لتظل مشروعاً دائماً للتأجيل والإرجاء، وفي موضع آخر يعتقد ان التفكيك لا يمكن اختزاله الى أدوات منهجية ، أو حزمة من المعايير والأسس والإجراءات القابلة للنقل ، لأنه ((أكثر من لغة)) بينما نراه في موضع ثالث يصنف التفكيك بكونه " استراتيجية" ليزوغ من التحديد ويعطي منهجه بعداً مستقبلياً ، وهذا التردد بين (الكتابة) و (اللغة) و (الاستراتيجية) و(القراءة) قد منح التفكيك بعداً اشكالياً معرفياً يضاف الى رصيد الاشكاليات الأخرى التي يختزنها هذا المنهج .

ان اشكالية تحديد التفكيك يمكن ان يحمل دلالات كثيرة لعل من أبرزها :

١- ان (دريدا) تعمد في عدم وضوح مقاربته النقدية ، فلجأ الى التضليل والتمويه والمخاتلة في تحديد منهجه ، كي يتملص من التقولب المنهجي الذي يؤدي الى الاستقرار والثبات والتكلس ، لذا ينأى التفكيك من الوقوع في أسر الطروحات المركزية الثابتة التي يرفضها رفضاً قاطعاً ، وقد أراد لمقاربته ان تكون متحركة ، نامية ، لا تهدأ ولا تستقر ، ولا تعرف الثبات ولا التموضع ، لانه يرفض وجود أي أصل ثابت يكون متموضعاً في بنية محددة ، كما يرفض الوصول الى أي دلالة نهائية قارة ، من خلال اسلوب إلارجاء المستمر الذي لا ينتهي عند حدود معينة، ولا يستقر في موضع محدد ثابت .

٢- ان التفكيك لم يمتلك هوية معرفية نقدية قارة يمكن تلمسها بصورة مباشرة عبر مجموعة من الخطوات الاجرائية ، وانما ظل قراءة حرة تشكلت من النصوص التي تعاينها ، وقد ارتبط وجودها بهذه النصوص ارتباطاً عضوياً مباشراً ، لذا فان التفكيك يتموضع داخل بنية النصوص ولا يقوى على مغادرتها ، ويتغلغل داخل نسيجها اللغوي ، ويكون نابعاً منها وليس مفروضاً عليها عبر حزمة من المعايير النقدية الثابتة التي تقارب بها هذه النصوص ، وبناء على ذلك يستحيل تحديده ، لانه ينتقل بحركة حرة داخل نسيج النصوص المتعددة من دون ان يستقر بها ، وبذلك ينجو من التحديد والتأطير.

٣- وقد يهدف التفكيك الى التملص من التحديد ، لانه لا يسعى الى تأسيس تصورات فلسفية أو معايير نقدية ناجزة ، وانما تتوقف مقاربته على قدرة الناقد أو القاريء على استجلاء مواطن العمى في النصوص التي تفضي الى بصيرة لاحقة تؤدي الى عمى جديد ، وهكذا ، انها انهاك متواصل للنص في سيرورة دائمة لا تؤول الى شيء، ولا تفضي الى نتيجة بل تسير في دائرة مغلقة لا تعرف نقطة شروعها ومنتهاها .

٤- وكما أسلفنا ان اللاتحديد المنهجي الذي يكتنف التفكيك قد لا يكون عملاً عفوياً ، وانما كان عملاً مقصوداً لذاته ، انه محاولة لخلق الفوضى الايديولوجية المخادعة التي تظهر شيئاً في العلن ، وتضمر سراً في أعماقها ، ان هذه القراءة تبحث في مناطق العمى في النص التفكيكي ، أو قراءة الوجه الآخر الذي يريد التفكيك تهميشه واستبعاده ونفيه من مساحة النص ، فهذه الفوضى يكمن خلفها فكر ممنهج ومنظم يسعى الى تأسيس فكري مؤدلج يمرر عبر اسلوب بلاغي منمق يشكل قناعاً تقبع خلفه تلك الأنساق الفكرية المؤدلجة

الخاتمة :

تعرض التفكيك الى موجة انتقادات عارمة طالت أسسه المعرفية ومرجعياته الفكرية ، فقد انبرى نقاد الحداثة ومفكروها بالدفاع عن منجزهم الفكري القائم على أسس معرفية راسخة أسهمت في تدشين صرح الحضارة الانسانية ، فأصحاب المقاربات التاريخية والاجتماعية والنفسية والبنيوية والسيميائية المستندة الى أبنية عقلية قارة تتعارض تعارضاً تاماً مع طروحات المقاربة التفكيكية شعروا بالخطر الداهم الذي زعزع كيانهم المعرفي ، لذا أصبح وجود المقاربة النقدية الحداثية مهدداً بالضمور والانحسار والتلاشي في ظل التعرية التي تعرض لها متنه الفكري .

وينطلق النقد الموجه للتفكيك من مسارب عديدة ، ومرجعيات متباينة ، ولكنها تتجه نحو هدف واحد، وهو اغتيال الوافد النقدي الجديد الذي صار وجوده مقلقاً لطروحات الحداثة ، لذا حاول بعض النقاد تعرية التفكيك من مقولاته النقدية التي تبناها ، ثم وضعها في سياقها التاريخي الذي ينتمي الى ما قبل الحداثة ، وكأنه أراد ان يقول ان التفكيك لم يكن فكراً نقدياً متجاوزاً للحداثة الغربية وطروحاتها الفكرية الناجزة ، وانما يمثل انحدار الحداثة الى متاهات موحشة، وفضاءات معتمة ، أو انه يمثل على وجه الدقة انتكاسة الحداثة .

ويمضي بعض النقاد الى معاينة النزعة اللاعقلانية التي يختزنها التفكيك ، ويتجلى ذلك في طروحات (جاك بوفرس) و(يورغن هابرماس) حين أكدا ان نتاج (جاك دريدا) يمثل انتكاسة معرفية طائشة تتجه الى تشكيل نزعة لاعقلانية ترفض المعايير المنطقية وتدمر الأسس المعرفية الراسخة .

إن هذه المقاربات النقدية تنطلق من مسلمات دوغماتية ناجزة في الثقافة الغربية ، وتزعم بوجود مرجعيات فكرية ومسلمات عقلية مشتركة تشكل إطاراً موحداً لكل النتاج الانساني ، وقد أدرك الناقد (امبرتو ايكو) صعوبة هذا الاجراء واستحالته ، ويرى ان الفكر الغربي لم يطرح تصوراً واحداً ثابتاً للعقل يمكن ان يشكل إطاراً مرجعياً موحداً لمعاينة كل النتاجات الفكرية المتمردة على سلطته ، لذا لا يمكن تحديد التيارات الفكرية اللاعقلانية على وفق غياب موحد للعقل.

ولعل قراءة المتن التفكيكي تعد مغامرة تبحر في غياهب عوالم افتراضية غير مستقرة تنتقل من موضع لآخر، ومن حقل معرفي مغاير الى آخر ، فهي لاتهدأ ولاتستكن ولاتقف عند حدود واضحة ، ولا تسعى للوصول الى مرافيء معرفية قارة، وانما تظل مبحرة نحو فضاءات اشكالية مستمرة .

والممارسة التفكيكية قراءة لتاريخ الفكر الفلسفي الغربي ، تهدف الى الكشف عن تناقض النص الفلسفي عبر القراءة البلاغية له ، انها قراءة سايكوباثية لتاريخ التغطرس الغربي، أو على وجه الدقة هي قراءة لمواضع التغطرس الكامن في ذلك الفكر ، وهي قراءة عدائية تحاول افراغ مكمونها النفسي على النص من أجل تدميره وإلاجهاز عليه، وازاحته عن ساحة المعرفة الانسانية ، لانها تشعر في قراءة ذاتها ان هذا الفكر ونتاجه هو المسؤول المباشر عن قسوة الاضطهاد الذي تعرضت له .

ويمكن القول ان قراءة (دريدا) لتاريخ الفلسفة الغربية لم تكن قراءة موضوعية شفافة ومحايدة ، وانما كانت قراءة ايديولوجية معبأة بإرث اضطهادي مكبوت ومنقمع ، يسعى دوماً الى الانتقام من التراث الفكري الذي أسهم اسهاماً فاعلاً في شرعنة تاريخ الاضطهاد الفكري والعرقي الذي تجسد في عنف المرحلة الكولونيالية التي بسطت سطوتها وهيمنتها على مساحات شاسعة من المعمورة تحت ذرائع ومسميات واهية ، لذا حاول التفكيك إماطة اللثام عن سلطوية الفكر الغربي وهيمنته ، واضطهاده عبر التاريخ ، والكشف عن بؤر التوتر والتناقض في طروحات ذلك الفكر ، فهو يبشر بالتنوير والتحرر والعقلانية والتقدم والانعتاق والانفتاح على المستوى النظري ، ويمارس الهيمنة والغطرسة والاستعباد والقهر والتدمير على صعيد الاجراء .

إن أغلب الانتقادات التي وجهت للتفكيك تراوحت بين النقد المنطقي والنقد الخارجي ، وكلاهما لا يصلحان – في ظني – لنقد هذا المنهج ، فالتفكيك لا يمكن مقاربته وفق أطر المنطق الكلاسيكي ، لان مشروعه قائم أساساً على تفكيك الأسس المعرفية لهذا المنطق وتقويضها ، لذا لا يمكن لتلك الأسس المعرفية ان تكون معياراً يمكن معاينة التفكيك به، فما الطريقة الفضلى في معاينة هذا المنهج ونقده؟.

إن الاجابة على هذا التساؤل تكمن في الكشف عن إجراء أو مقاربة تتناغم مع الأسس المعرفية التي تبناها التفكيك في تصوراته النقدية ، ومقارباته النصية ، وهي التموضع داخل الأبنية النصية وكشف تناقضاتها وفجواتها وشروخها ، أي ان النقد يكون من داخل النصوص وليس من خارجها ، مثلما تموضع (جاك دريدا) داخل النصوص وكشف عن تناقضاتها وفجواتها ، أي استعارة المقاربة التفكيكية لقراءة التفكيك .

وينطلق التفكيك في قراءة المناطق العمياء من العقل ، أو مناطق العتمة فيه، أو يكشف عما يحجبه العقل ويستبعده ويسكت عنه ، أي انه يقرأ المساحة اللامقروءة من فضاء العقل ، ويضعها أمام بصيرتنا، وينقلها من العتمة الى الضوء، ومن الخفاء الى العلن ، ومن الغياب الى الحضور ، انه لحظة استبصار كاشفة لكل تجليات الهوامش الفكرية المحبوسة تحت سلطة العقل وهيمنته الطاغية

ان ما يفصح عنه النص ليس هو المطلوب في المقاربة النقدية ، لأن نقد النص لم يعد نقضاً ولا تحليلاً ولا تقييماً له، وإنما قراءة عتمات النص وعوالمه المغيبة ، أي قراءة ما لم يقله النص بشكل علني وصريح ، فاذا تطرق النص الى الأنساق العقلية فانه يخفي بين طياته العقل اللاهوتي ، واذا تناول التحرر والانعتاق فانه يحجب سلطته وتغطرسه وسطوته ، أما اذا أعلن النص عن فوضويته ولا عقلانيته ، فانه يخفي تحت ستارها فكراً ايديولوجياً منظماً يسعى الى تمرير أنساقه ومقولاته الفكرية . وبذلك تتحول لغة النص الى حجاب ، تقول شيئاً وتخفي شيئاً آخر، تفصح عن تصورات فكرية معلنة ، وتمرر تصورات آخرى مغيبة ، تتحدث عن جانب وتضمر جانباً آخر ، وفي ضوء ذلك حاولت المقاربة التفكيكية ان تقرأ مضمرات النصوص وعوالمها المغيبة والمهمشة ، وتبحث عن تناقض النص بين ما يقوله ، وما يسكت عنه، مايعلنه وما يخفيه ، فيتهاوى النص ، وتتداعى أركانه ومقولاته وأنساقه ، ويسقط في متاهة التناقضات .

ولعل من أبرز النقاد الذين حاولوا قراءة التفكيك من الداخل الناقد (جوناثان كلر) الذي حاول أن يقرأ التفكيك عبر تناقض طروحاته الفكرية التي تؤدي الى تقويض التفكيك تلقائياً ، فقد أشار هذا الناقد الى تصورات التفكيك حول مجازية الخطاب الفلسفي ، ويرى ان القراءة البلاغية للخطاب الفلسفي سوف تؤول الى منزلقات فكرية خطيرة لا يمكن التنبؤ بنتائجها ، لذا حاول الوقوف عند هذا المفصل الحيوي من الممارسة التفكيكية ، فعملية قراءة النص بلاغياً سوف تحيل الى تقويض التفكيك وانهياره ، أي يقوم التفكيك بنقض ذاته ، وهذا العمل يشبه عملية قطع غصن شجرة لحظة جلوس المرء عليه .

إن هذه القراءة تتناغم مع الأسس المعرفية التي يتبناها التفكيك ، لانها تموضعت داخل المتن التفكيكي ونقضته من الداخل ، وكشفت عن تناقض الممارسة التفكيكية بين ماتؤسس له وتمارسه على مستوى الإجراء النقدي ، فكيف يسعى المتن التفكيكي الى نقل مضامينه الفكرية ، وهو يحاول تجريد الخطاب الفلسفي من تصوراته ومضامينه ؟؟.

ويقترب من ذلك الفيلسوف (يورغن هابرماس) حين يقرأ التفكيك قراءة داخلية للكشف عن تناقضاته وشروخه وفجواته . فأصحاب هذا المنهج يلحون دائماً على قراءة نصوصهم وفهمها واستيعابها بدقة متناهية من أجل الكشف عن مضامين هذه النصوص ومقولاتها ، ولكنهم في الوقت ذاته ينكرون إمكانية اللغة وقدرة أنساقها على حمل الدلالات التي تسعى للتواصل مع الآخر، والوصول الى غاية ما، لذا يجردون اللغة من أفقها الحواري ، وبذلك تنهار اللغة وآفاقها التواصلية ، ويطلق (هابرماس) على ذلك بـ (الفهم المبهم) .

ويزعم التفكيك ان التناقض بنية محايثة في كل النصوص ، ويكمن هذا التناقض بين شكله الظاهر الثابت ، وشكله الداخلي المتحول ، وبذلك يكون التفكيك موجوداً في كل النصوص من دون استثناء ، ويكمن دور القارئ في استجلاء التناقض النصي المزعوم الذي تحمله هذه النصوص ، ويعترض (جون اليس) على شمولية الممارسة التفكيكية ، لأن النقد يعني التمييز والبحث عن خصوصية النص وتفرده عن بقية النصوص ، ولكن التفكيك يصدمنا حين يعلن ان كل قارئ للنص سوف يحصل على النتيجة ذاتها ، وبذلك يلغي خصوصية النصوص الابداعية ، ويشطب التفاوت الابداعي في مستويات قراءة النص التي يقوم بها القراء ، لان الكشف عن مستوى تعارض النصوص وتناقضها ينتج أفقاً محدوداً ومختزلاً ولكن التفكيك يعمم هذا التناقض ويجعله قابلاً للتطبيق على نحو شامل في كل النصوص .

إن التفكيك الذي هرب من إلاحكام المعيارية الشمولية المطلقة التي تنتمي الى أفق التمركز العقلي قد وقع في المحظور الذي حاول نقضه وتفكيكه بإعلانه ان التفكيك هو أصل كل النصوص ، أي ان كل النصوص هي مقوضة تلقائياً ، فكيف يرفض التفكيك الأصول ويقوضها ثم يؤسس أصلاً جديداً !؟ . وكيف يثبت شيئاً قد تم نقضه وتفكيكه !؟؟ وكيف ينقض الشمولية الفكرية من جهة ويسعى الى شمولية ممارسته من جهة أخرى !؟.

إن التفكيك وجود متطفل يعتاش على نصوص الآخرين ، وعندما يجف نسغ هذه النصوص يزول التفكيك ويتلاشى ، وهو يشارك مشاركة جزئية مع النصوص التي يحاول تفكيكها ، ويسعى الى توطيد الفكر الشمولي ويثبته من جهة ، ونقضه وتدميره من جهة ثانية ، لذا يمكن القول ان التفكيك يشتغل في المنطقة الفاصلة بين توطيد الفكر ونقضه ، بين تثبيت النصوص وتدميرها ، فلا هو يبقي على الفكر الشمولي ولا يدمره بشكل حاسم ونهائي ، وانما يظل يعتاش عليه ويلعب على تناقضاته وشروخه وفجواته، لانه يدرك ادراكاً تاماً ان تدمير النصوص بشكل كامل يعني فناءه وانهياره وزواله ، لذا فهو يحافظ على وجوده الذي يتجسد ويتمظهر عبر هذه النصوص المقروءة ، ولا يمتلك وجوداً مستقلاً عنها .

ولعل التناقض الصارخ في التفكيك يكمن بين تنظيره وممارسته ، فهو يقوم بنقد الأسس المعرفية للمنطق الكلاسيكي ويقوضها على مستوى التنظير ، ولكنه يقوم عبر الممارسة بقراءة النصوص قراءة منطقية – عقلية تفتش عن التناقض المزعوم الذي تحتويه النصوص ، فكيف يفكك المنطق ويعده من مخلفات الفكر الميتافيزيقي ثم يقوم بجعله معياراً لمعاينة النصوص حين يزعم ان التناقض بنية متأصلة في كل النصوص ، ولا يخلو منه أي نص ، فكيف يلجأ الى المقاربة المنطقية المعيارية وهو

يرفضها ويفككها ويدمرها؟؟. وكيف يكون المنطق من مخلفات التمركز حول العقل ويكون في الوقت ذاته معيارا نقديا لفحص النصوص ومعاينتها ؟ . وهل استطاع المتن التفكيكي أن يتطهر تماما من التناقض الذي ظل يبحث عنه في النصوص الأخرى ؟.

إن التفكيك لم يبحث عن اللاموقع الذي ينطلق منه لتفكيك المواقع الأخرى حسب ما يرى بعض النقاد ، وانما كان يسعى الى تشكيل موقع يكون بديلاً عن المواقع الأخرى عبر اسلوب الخلخلة والزحزحة ثم الاحلال ، انه يبني تمركزاً مكان تمركز آخر ، ولم يكن همه هدم جميع التمركزات ونقضها ، انه ينقض المنطق ، ولكنه يقرأ النصوص قراءة منطقية تبحث عن التناقض المفترض في النصوص ، أي يستعير الأداة التي تم نقضها ، وبذلك ينقض ممارسته وذاته بصورة لا إرادية ، فهوعندما يحاور النصوص يقوم بتفكيك ذاته والنصوص الأخرى في الوقت ذاته ، لذلك يمكن القول ان الممارسة التفكيكية هي قراءة مفككة ومقوضة وفق منطقها الذي تبنته وحاولت تطبيقه على النصوص .

إن التفكيك يعج بالمآزق المنطقية الكثيرة التي تعتري نسيجه الفكري ولعل من أبرزها :-

١- إن التفكيك لم يطرح مشروعاً فكرياً مغايراً يمكن الأشارة اليه ، وانما قام بتفكيك المشاريع الفكرية السابقة ونقضها ثم التوقف عند هذه الممارسة ، ولم يستطيع ان يطرح بدائل فكرية لما تم تفكيكه ، وانما ظل يدور في حلقة مفرغة من دون ان يتقدم خطوة الى الامام .

٢- إن التفكيك حاول أن يكسر نسق سيرورة التطور الفكري الانساني عبر اسلوب تجاوز الطروحات السابقة ، وإلاتيان بطروحات حداثية جديدة ، وظل مصراً على الدوران في حلقة مفرغة تلغي نسق التطور الفكري ، لأنه عجز عن تجاوز الطروحات السابقة ، كما انه عجز في إنتاج منظومة معرفية مغايرة يمكن رصدها وتحليلها ، لذا ظل يتأرجح بين تثبيت الظاهرة ونقضها من دون ان يتمرد على هذا النسق الحركي المتأرجح ، أي انه يسعى الى توطيد القضايا والطروحات التي يقرأها ويفككها في الوقت ذاته ، وهذا من أبرز مزالق التفكيك ومآزقه المنطقية ، لانه يحتفظ بهذه القضايا ، فلايتركها على حالها ولا يسعى الى تجاوزها ، بل تبقى حاضرة بقوة في ممارسته النقدية .

٣- إن الفوضى التي ينتجها التفكيك لم تكن فوضى اعتباطية عابرة ، وانما كانت فوضى منظمة تكمن خلفها أنساق ايديولوجية منظمة حاول التفكيك انتاجها وتسويقها وتمريرها تحت ستار هذه الفوضى المعلنة ، لذا علينا ان لا ننجرف وراء المقولات النصية الظاهرة ، وانما نبحث عما يضمره النص ، لان قراءة النص هي ليست البحث عما تكشفه أنساقه اللغوية المعلنة ، وليس تحليلاً او تأويلاً لها ، وانما هو قراءة مالم يقله النص ، أو قراءة ما سكت عنه وأخفاه واستبعده من متنه اللغوي . لذا يمكن القول ان خطاب مابعد الحداثة أنتج خطابا فكريا مزدوجا فهو يسوق التشتت والضياع

وتقويض العقل والانحلال والتشظي والتشرذم الى الآخر بينما تحتفظ ذاته بالعقل والمنطق والوحدة والتكنولوجيا ، فهو يسعى الى تجزئة العالم وتفكيكه وجعله أشلاء مبعثرة حتى يسهل السيطرة عليه علميا وثقافيا وحضاريا ، أي ان هذا الخطاب هو مقدمة لمشروع الهيمنة الجديد الذي يسعى لبسط نفوذه الحضاري والثقافي على العالم عبر اسلوب نشر الفوضى والتفكك والتشرذم من أجل الوصول الى الهدف الفكري المضمر.

٤- يزعم التفكيك انه يسعى الى تقويض الفكر الميتافيزيقي الذي ينتمي الى مرحلة التمركز حول العقل ، ولكن البحث المتقصي لطروحاته يفند هذا الزعم ، فالتفكيك لم يغادر الفكر الميتافيزيقي ، بل سعى أحياناً الى توطيده عبر طروحاته الشمولية ، التي تنتمي الى آفاق ذلك الفكر ، وهذا يعني تأكيد الطروحات الفكرية التي ينوي (دريدا) تفكيكها ، وترسيخ الطروحات التي تسعى لتقويضها ، لذا يمكن القول ان الفكر الميتافيزيقي لم يغادر استراتيجية التفكيك مغادرة نهائية ، بل كان آلية من آلياتها التي تمارسها على النصوص ، وعنصراً من عناصرها، وما حاول (دريدا) طرده من الباب قد تسلل اليه من النافذة .

٥- إن منهج التفكيك هو منهج طفيلي يعتاش على نصوص الآخرين ، وان وجوده الحقيقي يكون مستمداً من النصوص التي يحاورها ، ولا يمتلك وجوداً مستقلاً يقع خارج النصوص ، أي ان وجوده الذاتي قائم على الآخر ، وليس له وجود مستقل قائم بذاته ، اي ان الذات التفكيكية لم تمتلك وجوداً معرفياً مستقلاً يمكن ان يشكل هويتها الخاصة بها ، وانما يمثل اندماج الذات مع الآخر وتماهيها معه، وهذا يعني ان التفكيك لم يمتلك هوية خاصة به يمكن الإشارة اليها وتحليل مضمونها .

هوامش البحث :-

١- ينظر :بيير ف . زيما ، التفكيكية ، دراسة نقدية ، تعريب : اسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، الطبعة الاولى ، ١٩٩٦ : ١٦٦ .

٢- ينظر : ج . هيو . سلفرمان ، نصيات بين الهيرمينوطيقا والتفكيكية ، ترجمة : حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٢ : ٩٥ .

٣- ينظر: بيير ف . زيما ، التفكيكية ، مصدر سابق : ١٦٠ ، ١٦١ .

النزعة الأناركية anarchism : في أصلها نزعة سياسية تهدف الى إسقاط كل أنظمة الحكم السياسية ، ثم احلال العمل الطوعي الاجتماعي بين الأفراد والجماعات . والمقصود بالكلمة هو الغاء تحكم النظام بالعناصر المكونة لذلك النظام ، ويذهب بعض المترجمين الى ترجمتها بالفوضوية . { ينظر مداخل الى التفكيك ، ص ٣٤٤ } .

٤- ينظر جاك دريدا ، بول دي مان ، وآخرون ، مداخل الى التفكيك ، ترجمة وتحرير : د. حسام نايل ، تصدير : د. محمد بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠١٣ : ٣٣٠.

٥- ينظر : المصدر نفسه :٣٧٥ ، ٣٧٦ .

٦- ينظر: بيير ف . زيما ، التفكيكية : ٧٠ .

٧- ينظر : امبرتو ايكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، ترجمة: سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، - الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٠ : ٢٤ .

٨- ينظر: جاك دريدا ، وبول دي مان ، وآخرون ، مداخل الى التفكيك :٢٤٤ ، ٢٤٥ .

٩- ينظر : امبرتو ايكو ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية :٣٣ .

١٠- ينظر : كريستوفر نورس، التفكيكية بين النظرية والتطبيق ، ترجمة : رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار للنشر ، اللاذقية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ :٢٥ ، ٢٦ .

١١- ينظر: ج . هيو . سلفرمان، نصيات بين الهيرمينوطيقا والتفكيكية : ٩٧ .

١٢- ينظر: جاك دريدا، بول دي مان وآخرون ، مداخل الى التفكيك : ٣٢٩ .

١٣- ينظر: جون أليس ، ضد التفكيك ، ترجمة وتقديم : حسام نايل ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٢ : ١٢٧ .

١٤- ينظر: جاك دريدا وبول دي مان واخرون ، مداخل الى التفكيك :٣٢٨، ٣٢٩ .

١٥- ينظر: جون أليس ، ضد التفكيك : ٨٣ .

١٦- ينظر : د. عبد الوهاب المسيري ، د. فتحي التريكي ، الحداثة وما بعد الحداثة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٣ : ٧٣ ، ٧٤ .

١٧- ينظر: جون اليس ، ضد التفكيك : ١٩٢ .

١٨- ينظر: كريستوفر نورس ، التفكيكية : ١٩٢ .

١٩- ينظر: امبرتو ايكو ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية : ٣٤ .

٢٠- ينظر: د. محمد شوقي الزين ، الازاحة والاحتمال ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٨ : ١٦٠ .

٢١- ينظر: المصدر نفسه : ٢٠٠ .

٢٢- ينظر: جون اليس ، ضد التفكيك : ١٢٥ .

٢٣- ينظر: سوزان روبين سليمان وانجي كروسمان ، القارئ في النص ، ترجمة : د. حسن ناظم وعلي حاكم صالح ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٧ : ٥٩ ، ٦٠ .

٢٤- ينظر: رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٣ : ٢٣ .

٢٥- ينظر: جون اليس ، ضد التفكيك : ٢٠ ، ٢١ .

٢٦- ينظر: علي حسين الجابري ، الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

٢٧- ينظر: جون اليس ، ضد التفكيك : ٢٠٧ .

٢٨- ينظر: المصدر نفسه : ١٩٩ ، ٢٠٠ .

٢٩- ينظر: جاك دريدا وبول دي مان وآخرون ، مداخل الى التفكيك : ٣٩٤ .

٣٠- ينظر: جون اليس ، ضد التفكيك : ٢٧ .

٣١- ينظر جاك دريدا وبول دي مان ، مداخل الى التفكيك : ٢٢ .

٣٢- ينظر: المصدر نفسه :٢٥٧ .

٣٣- ينظر: كريستوفر نورس ، التفكيكية بين النظرية والتطبيق : ٣٨ .

٣٤- ينظر: جاك دريدا ، الكتابة والاختلاف ، ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٨ : ٦٠ ، ٦١ .

٣٥- ينظر: محمد شوقي الزين ، الازاحة والاحتمال : ١٤٠ .

٣٦- ينظر: د. عبد الوهاب المسيري ، د. فتحي التريكي ، الحداثة وما بعد الحداثة : ٩٣ .

٣٧- ينظر: كريستوفر نورس ، التفكيكية : ٢٥، ٢٦ .

٣٨- ينظر: جاك دريدا وبول دي مان ، مداخل الى التفكيك : ١٤١ ، ٢٤٢ .

٣٩- ينظر: ج .هيو. سلفرمان ، نصيات بين الهيرمينوطيقا والتفكيكية : ٩٥، ١٠٤ ، ١٠٥.

٤٠- ينظر:جون اليس ، ضد التفكيك : ١٠٥ .

٤١- ينظر: ج. هيو . سلفرمان ، نصيات بين الهيرمينوطيقا والتفكيكية : ٩٨ .

٤٢- ينظر: جاك دريدا وبول دي مان ، مداخل الى التفكيك ٣٣٥ .

ثبت المراجع :

١- الازاحة والاحتمال د. محمد شوقي الزين ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٨ .

٢- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ، امبرتو ايكو ، ترجمة : سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي – بيروت – الدار البيضاء ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٠ .

٣- التفكيكية بين النظرية والتطبيق ، كريستوفر نورس ، ترجمة : رعد عبد الجليل جواد ، دار الحوار للنشر ، اللاذقية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦ .

٤- التفكيكية ، دراسة نقدية ، بيير ف زيما ، تعريب : اسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٦ .

٥- الحداثة وما بعد الحداثة ، د. عبد الوهاب المسيري ود. فتحي التريكي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٣ .

٦- الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ، علي حسين الجابري ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٥ .

٧- درس السيميولوجيا ، رولان بارت ، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٣ .

٨- ضد التفكيك ، جون اليس ، ترجمة : حسام نايل ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٢ .

٩- الكتابة والاختلاف ، جاك دريدا ، ترجمة : كاظم جهاد ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الاولى ، ١٩٨٨ .

١٠- القارئ في النص ، سوزان روبين وانجي كروسمان ، ترجمة : د. حسن ناظم وعلي حاكم صالح ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٧ .

١١- مداخل الى التفكيك ، جاك دريدا ، وبول د ي مان وآخرون ، ترجمة : د. حسام نايل ، تصدير: د. محمد بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣ .

١٢- نصيات بين الهيرمينوطيقا والتفكيكية ، ج . هيو . سلفرمان ، ترجمة : د. حسن ناظم وعلي حاكم صالح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – بيروت ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٢ .